

مذكرات مستر همفر

الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية

سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب
أو..
مذكرات مستر همفر
(الجانوس البريطاني في البلاد الإسلامية)
عنوان الكتاب :
نقله إلى العربية: الدكتور ج.خ
تقـــــــديم : مالك صقور
اختيـــــــار : أ.د. حسين جمعة
سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم 93/ شباط
الناشر : اتحاد الكتاب العرب
الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu.sy>

سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب

أو

مذكرات مستر همفر

الjasوس البريطاني في البلاد الإسلامية

نقله إلى العربية:

الدكتور ج. خ.

تقديم: مالك صقور

اختيار: أ.د. حسين جمعة

الوهابية
صناعة
وزارة المستعمرات البريطانية

مالك صقور

من أين أبدأ وإلى أين أعود؟
ولطالما رددت: أخرجوا رؤوسكم من التاريخ
ولا
تخرجوا التاريخ من رؤوسكم..

والحديث عن التاريخ، وفي التاريخ، وما يتضمنه هذا
التاريخ، بقدر ما يأتي بالمتعة والفائدة؛ بقدر ما هو حديث ذو
شجون.

وبما أنني بدأت بالتاريخ كتمهيد لما سيأتي من حديث
عن الوهابية، فسأذكر بمفاصل سريعة تاريخية، لعل
الذكرى تنفع..

المفصل الأول:

قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وقبل المسيحية كدين سماوي، من المعروف، أنه كان يحكم العالم إمبراطوريتان: هما الرومانية والفارسية. وهاتان الإمبراطوريتان كانتا تتحاربان على منطقتنا (المشرق العربي).

كانت الإمبراطورية الفارسية تبسط هيمنتها على الجزء الشرقي من المنطقة العربية: من حدود بلاد فارس إلى العراق وحلفائهم (المناذرة) ومقرهم الحيرة.

ويبسط الرومان نفوذهم على القسم الغربي الذي يبدأ شمالاً من حدود آسيا الصغرى، ويمتد جنوباً عبر سورية حتى فلسطين وحلفائهم الغساسنة ومقرهم: دمشق وبصرى. وكانت الحروب تنشب بين الإمبراطوريتين، ودائماً، يكون الثمن دماً عربياً.

في معركة القادسية انحسرت هيمنة الفرس؛ كذلك انتهت الهيمنة الرومانية في معركة اليرموك، وعاد هرقل يجرجر ذيول الخيبة والهزيمة، ووقف على جبل في أنطاكية، وقال: "وداعاً يا سوريا، ودائماً لا لقاء بعده".

المفصل الثاني:

عندما انتصر الإسلام في الجزيرة العربية، على يد سيد المرسلين النبي ﷺ كانت اليهودية والمسيحية والوثنية منتشرة في شبه الجزيرة العربية.

انتصر الإسلام على الوثنية. واعترف بأهل الكتاب، والقرآن جاء (مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل). غير أن اليهود رأوا في الإسلام الخطر الأكبر الذي يهدد دينهم وتجارتهم، وسيلغي سطوتهم على الحياة المادية في يثرب ومكة، فهاجوا وماجوا، وشرعوا بالسراً والجهر بالتحريض ضد الإسلام، وضد الرسول الأعظم، والعمل على إشعال الفتن والتآمر. وانتصر الإسلام عليهم، ومن المعروف تاريخياً، قصة سقوط خيربيد المسلمين، ولقد نزلت الآية الكريمة: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا. وظننوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله. فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقدفأ في قلوبهم الرعب يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر: 2).

وبقي اليهود حتى هذه الدقيقة يحتفظون بحقد أسود على تلك الهزيمة وها هم ينتقمون، ولم ينسوا هزيمتهم في الجزيرة العربية، خاصة في خيبر.

المفصل الثالث:

في شهر شباط من عام 638م دخل الفاروق العادل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) بيت المقدس راكباً جملاً أبيض، مرتدياً ثياباً غاية في البساطة، فاستقبله البطريرك صفرنيوس الذي رفض أن يسلم بيت المقدس إلا إلى خليفة المسلمين.

يقول ستيفن رنسيما مؤرخ الحروب الصليبية: قبل المسيحيون في الشرق عن طيب خاطر سيطرة المسلمين(1).

كما ويقول بطريرك أنطاكية اليعقوبي ميخائيل السرياني: إن الله المنتقم الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا من أيدي الرومان ().

ويقول المؤرخ النسطوري: إن قلوب المسيحيين انشردت لسيادة العرب، فليزد الله هذه السيادة قوّة، وليجعلها زاهرة(2).

ويعلل مؤرخو الحروب الصليبية الغربيون أن أسباب الهزيمة هي الخطيئة الكبرى التي ارتكبها هرقل وهي زواجه من بنت أخيه "مارتينا" وهذا التعليل لصرف الأنظار عن قوة المسلمين المادية والمعنوية (3).

المفصل الرابع:

بعد فتح بيت المقدس، بسط الإسلام رسالته على الشام ومصر وشمال أفريقيا وانحسر سلطان الرومان. واستجاب الكثيرون لدعوة الإسلام، لما لمسوه من التسامح، وما عرفوه من العدالة والمساواة في طبيعة الدعوة وتشريعها، ولأن بعضهم عرب في أنسابهم وأعرافهم، واللغة الجامعة هي العربية ولأن الرسول عربي، ولأن الحكم الروماني كان بغياً إلى الشعوب والأقوام لما لحقه من الإذلال والإرهاق، وإنزاله من الظلم والعسف والجور.

واستمرت الغارات المتبادلة مدة أربعة قرون، واشتد سعيها في أيام الإمارة الحمدانية وأمرائها، ولقد ذكر بعض هذه الحروب المتتبي شاعر العرب الكبير، كما أشار إلى بعضها قبله الشاعر أبو تمام. وأطلق عليها المؤرخون اسم "حرب الثغور" وأطلق عليها العرب اسم "الصوائف والشواتي" (4).

المفصل الخامس:

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد برايرة الشمال بستة قرون قامت فكرة الحروب الصليبية في نفوس الفرنجة الأوربيين، وكان الإسلام بلغ مدى كبيراً من السعة على رقعة ممتدة من الصين إلى الهند، إلى أقصى الأندلس، إلى قلب أفريقيا، وأقام حضارة نبيلة قوية متماسكة، وأصبحت بيزنطة محاصرة في الشمال.

في هذه المدة انطلق الرهبان يجوبون أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ليجمعوا أشتاتاً من الأقسام مستثيرين حماسهم الديني، داعين إلى استرجاع الأماكن المقدسة، مبشرين بالنعيم الأبدي للمشاركين في هذه الحرب المقدسة مقدمين السلاح والأموال للجنود.

ومن ثم أطلق البابا (ايربان) النداء الشهير: يا شعب الفرنجة يا شعب الله المختار، إن شعباً أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في بلاد المسيحيين.. الخ.

وعقب هذا النداء والتحريض تحركت أوروبا ملوكاً وأمراء وإقطاعاً وشعوباً - على ما بينها من خلاف وتعاضد - وتدفعت الجيوش إلى الشرق، واكتسحت بطريقها بلاد

المسيحيين البيزنطيين أنفسهم واجتاحت ديارهم وأراقت
دماءهم، ونهبت ثرواتهم وأقواتهم، واضطر إمبراطور بيزنطة
أن يخضع للأمر الواقع.

واكتسحت هذه الجيوش الجرارة بلاد المسلمين، حتى
بلغت بيت المقدس وقد استمر الصليبيون في هذا الشرق
قراية مئتي عام من سنة 1095م إلى سنة 1291م (5).

المفصل السادس:

سأذكر فقط بتاريخين مهمين:

1- فتح القسطنطينية عام 1453، وقيام الإمبراطورية
العثمانية التي استمرت حتى عام 1918 - نهاية
الحرب العالمية الأولى

2- سقوط آخر دولة عربية في الأندلس عام 1492، وهو
العام الذي اكتشفت فيه أميركا. فقط، لنتذكر
مَنْ كان العرب حينها، ومَنْ كان الأمريكان؟
وكم الفارق الحضاري بينهما؟ آنذاك، واليوم؟

قد يسأل سائل، أو يقول قائل، ما علاقة هذا التاريخ
وهذه المقدمة بما سيأتي الحديث من البدعة الوهابية؟

في الجواب أقول:

أولاً: لتذكير القارئ بمراحل الصراع بين الغرب الاستعماري ومشرقنا العربي.

ثانياً: في رأيي، إن التاريخ وحركاته، وموجاته: حلقات متصلة عسكرية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية.

ثالثاً: في أثناء الحروب الصليبية، وبعدها، نشأ الاستشراق، وبدأت حركة الجاسوسية، تنشط في ربوع المشرق العربي، وكان لوزارة المستعمرات البريطانية الشأن الأكبر في هذا المضمار.

واليكم (الوثيقة الاستعمارية) التي أقرّها مؤتمر لندن للفعاليات الأوروبية السياسية والاقتصادية والأيدولوجية.

"إن البحر المتوسط شريان حيوي لمصالح بريطانيا الآنية والمقبلة، فهو جسر بين الشرق والغرب، وممر طبيعي لآسيا وإفريقيا، وملتقى طرق العالم، ولتأمين حماية ناجحة للمصالح الأوروبية المشتركة لا بد من السيطرة عليه، وعلى شطآنه الجنوبية والشرقية، إذ أن المسيطر على هذه المنطقة يمكنه السيطرة على العالم.

إن الخطر في هذه المنطقة يكمن في تحررها، وتثقيف شعوبها، وتطورها، وتوحد اتجاهاتها، لهذا ينبغي على الدول ذات المصالح أن تعمل على استمرار تأخرها وتجزئتها، وإبقاء شعوبها مفككة جاهلة، متأخرة، وأن تعمل على محاربة اتحاد هذه الجماهير، أو ارتباطها بأي نوع من الروابط الفكرية، أو الروحية، أو التاريخية، وإيجاد الوسائل العلمية لفصلها بعضها عن بعض ما أمكن.

ويعيش في شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية بصورة خاصة شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ، والدين واللغة، وكل مقومات التجمع والترابط، فضلاً عن نزعاته الثورية، وثرواته الطبيعية الهائلة. فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل المدنية، ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية، وانتشر فيها التعليم والثقافة؟ إذا ما حدث ذلك، فسوف تحل حتماً الضربة القاضية بالإمبراطوريات القائمة.

فهل لديكم أسباب، أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط إمبراطورياتكم وانهارها؟ أو تؤخر مصير الاستعمار الأوروبي وقد بلغ ذروته، وأصبحت أوروبا قارة عجوزاً

استنفدت مواردها، وشاخت معالمها، بينما العالم الآخر (المنطقة العربية) لا يزال في مطلع شبابه، يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية.

إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها هو التنفيذ العملي العجل للسبل والوسائل المقترحة. هذه مهمتكم أيها السادة، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤها وسيطرتنا" (6).

هذه الوثيقة تؤكد ما جاء في مذكرات الجاسوس البريطاني جيفري همفر، وأن مهمته مترابطة ومتلازمة في هذه الوثيقة. إذن، فالسيطرة على المشرق العربي والشرق عموماً، خطط له منذ قرون سحيقة، وكان الاستشراق أحد أدوات هذا الاستعمار، وكان أغلب المستشرقين جواسيس، درسوا أخلاق وعادات وسلوك العرب المسلمين، وأتقنوا اللغة العربية، وسرقوا المخطوطات، والكنوز الثمينة، وأعادوها مشوّهة إلينا، وهكذا، خبروا مواطن

القوة ومواطن الضعف، ودرسوا الخلافات الطائفية والمذهبية، وتوزع هؤلاء الجواسيس تحت اسم الاستشراق بحسب مهامهم تحت ستار نشر العلم وترويج الثقافة والاطلاع على الأوابد الأثرية، والتتقيب عن الآثار، والحج إلى الأماكن المقدسة وفهم من اعتنق الإسلام، ومنهم: جيفري همفر الذي أرسلته وزارة المستعمرات البريطانية بمهمة بدت صعبة، لكن حسب أقواله واعترافاته، استطاع أن يذلها، عندما وجد ضالته في شخص يدعى (محمد بن عبد الوهاب)، ويبرز كتاب (كيف نحطم الإسلام) خير دليل على دستور البدعة الذي لقنه إياها همفر، والتي جاءت في البداية كحركة إصلاحية في الإسلام. وخير ما يثبت ذلك، ما أعلنته إذاعة (البي بي سي) البريطانية من لندن في الثالث من شباط عام 1991، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي: "لقد كان أمام الغرب عدوان اثنان: الشيوعية والإسلام. وقد انهارت الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر، ويجتمع كل من الغرب والشرق في خنادق الكاثوليك والأرثوذكسية ضد الإسلام".

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد، وقد قال رسول الله ﷺ: "وبها يطلع قرن الشيطان"، ومن ثم غادر الجزيرة العربية، وعاش في بغداد، وثم في إيران، ودمشق، والبصرة، والأستانة، وحلب، والقدس، والقاهرة، ثم عاد إلى مكة ومنها إلى نجد.

كتب المستشرق مارغوليوث في دائرة المعارف الإسلامية، عن رحلات ابن عبد الوهاب معتمداً على كتاب (لمع الشهاب): إن محمد بن عبد الوهاب كان يغير اسمه طوال الوقت، ففي البصرة اسمه (عبد الله)، وفي بغداد (أحمد)، وفي كردستان (محمد) وفي همدان (يوسف)، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على أن هذا الشخص كان يخفي شيئاً ما، وبيّنت لأمر فظيع. لذلك، كان يغير اسمه كي لا ينكشف.

لا شك، أن محمد بن عبد الوهاب، كان ذكياً، ومجتهداً، ومن رحلاته الكثيرة، وإقامته في مدن عديدة، ومخالطته لأناس كثيرين، خاصة، من العلماء، والفقهاء في هذه المدن، أثرت ثقافته، بالإضافة إلى مثابرتة على دراسة الفقه، والتعمق في معرفة المذاهب، جعلته مهيباً للتبشير

بحركته الجديدة، ولكن ذلك لم يكن مصادفة، فهو كان عنده الميل والاستعداد، ووجد في جيفري همفر الدينامو الذي أعطاه القوة السحرية، في بيئة خصبة وجاهزة لتلقي مثل هذه الدعوة.

لن أذكر هنا، مقتطفات من كتاب (كيف نحطم الإسلام) من داخله، لأن همفر عرضه، ولكن تعليمات الجاسوس هذا، في هذا الكتاب، كان دليل محمد بن عبد الوهاب، وهو القاعدة التي بنى عليها "مذهبه" أو طريقته، أو حركته، ولما كان الكتاب يزيد عن ألف صفحة، قال الجاسوس همفر لابن عبد الوهاب: "لا يهولنك هذا البرنامج الضخم، فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة، وستأتي الأجيال اللاحقة لإكمال المسيرة، بريطانيا العظمى اعتادت على النفس الطويل". وذلك، كان الجاسوس همفر قد أقنع ابن عبد الوهاب، أن محمداً رسول الله الأعظم ﷺ، ما هو إلا بشرٌ مثله، كما وأقنعه أنه أكثر فهماً من أبي حنيفة، ولكي يرضي غروره، قال له مرة: إنك أكثر موهبة من عمر وعلي، وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة: "إني آمل تجديد الإسلام على يديك، فإنك المنقذ الوحيد الذي يرجى به انتشار الإسلام من هذه السقطة".

وهكذا، دخل الجاسوس المحنك همضر كالنعاس في ذهن محمد بن عبد الوهاب، بعد أن رُوّضه، بالنساء، والمال، والخمرة. وهكذا، بدأ ابن عبد الوهاب في دعوته، وكان الميدان مفتوحاً في الصحراء العربية، بين قبائل متناحرة متنافرة، بدو رحل، وفقر، وجهل، والجزيرة العربية منقسمة إلى حجاز، وطائف، وعسير، ومكة، ونجد، ودرعية". والباب العالي بعيد جداً عنهم. وجاءت اللحظة المناسبة، فجمع الجاسوس البريطاني بين (المحمدين): محمد بن سعود، ومحمد ابن عبد الوهاب، وتمّ الاتفاق: محمد بن سعود هو أمير الدرعية، وابن عبد الوهاب هو الإمام. وانطلق محمد بن عبد الوهاب بنشر دعوته، بحجة توحيد كلمة الإسلام، وتخليص العقيدة من الشوائب، ولقد كذب في بداية الدعوة، كي لا يحاربه المسلمون، فقال إنه ملتزم بالقرآن والسنة، لكن ذلك لم يكن إلا ذراً للرماد في العيون.

اعتمد ابن عبد الوهاب في البداية على البدو، الذين لا معرفة لديهم، بالفقه، فخدعهم، بأنه يريد التوحيد الخالص، ومحاربة البدع، وتحريم زيارة القبور، لكنه

تطاول على مرقد الرسول الأعظم. ولن أدخل في تفاصيل كثيرة، جعلت محمد علي باشا، حاكم مصر أن يطارده بحملة عسكرية. لكن في النهاية، استطاع ابن عبد الوهاب أن يستحوذ على عقول كثيرة، وتمت الاستجابة لهذه الحركة - البدعة. التي ظاهرها الإصلاح الديني، وتنقية الإسلام من الشوائب، وباطنها تقويض الإسلام وتحطيمه من الداخل، ولكن ذلك لم يتضح بسرعة ويسر، إلا بعد فوات الأوان، وبعد أن اشتد وظهر على الملأ ما ضرب جذور الإسلام ألا وهو التكفير.

يقول الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر، في مقدمته لكتاب (إسلام بلا مذاهب) لمؤلفه مصطفى الشكعة: "ولقد فهم المسلمون الأولون روح هذا الدين الحنيف واختلفوا في فهم نص من كتاب أو سنة رسول الله، ولكنهم - مع هذا الخلاف - كانوا متحدين في المبادئ والغايات. لم يكفر بعضهم بعضاً، بل كانوا يداً واحدة على من عاداهم. ثم خلف من بعدهم خلف جعلوا دينهم لأهوائهم. فتفرقت الأمة إلى شيع وأحزاب ومذاهب وعصبيات، واستباح بعضهم دماء بعض، وكان بأسهم

بينهم شديداً. فطمع فيهم من كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، فذهبت ریحهم وتجراً عليهم أعداؤهم. وانتقصوا بلادهم من أطرافها، كل هذا، ودعاة الفرقة سادرون في غيهم ماضون في طريقهم لا يدفعهم إلى هذا الطريق الشائك إلا أحد أمرين: إما الجهل بمبادئ الإسلام الصحيح أو الكيد لهذا الدين الحنيف".

ويتابع الشيخ شلتوت قوله:

"ولقد استغل المستعمرون أسباب الفرقة بين المسلمين أسوأ استغلال فراحوا يبعثون من قبور التاريخ أسباب العداوة والبغضاء وينفخون في نار قد خمدت أوارها، وانطفأ لهيبها".

في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب عام 1979 في دمشق قام كاتب من (السعودية) يدعى ناصر السعيد، وفضح آل سعود - حكام الجزيرة العربية. ووزع كتاباً غاية في الأهمية (كتاب آل سعود) يشرح، ويفنّد، ويفضح الأسرة المالكة، والوهابية. وعرفّ القراء العرب عن المسكوت عنه، وعن تأمر آل سعود على الوحدة العربية بين مصر وسورية،

وكيف تم اغتيال جمال عبد الناصر، كما وبين ناصر
السعيد في كتابه أصول الأسرة الحاكمة السعودية
اليهودية...

ويا للأسف خُطف هذا الكاتب العربي المناضل في
لبنان، وتم تسليمه للسلطات السعودية. والجدير بالذكر،
أن الدكتور نبيل طعمة أعاد طباعة كتاب (آل سعود)
ووزعه مشكوراً، من أجل الحق والحقيقة.

عزيزي القارئ:

إن جيفري همفري واحد من عشرات المئات من
الجواسيس الذين تجندوا لخدمة مصالح بلادهم
الاستعمارية. ويا للأسف، وجدوا الأرض الخصبة في بلادنا،
وستجد في مذكرات هذا الجاسوس، كيف علّم وزير
المستعمرات البريطانية هذا الجاسوس وغيره، "الحروب
الصليبية لم تكن ذات جدوى، كما أن المغول لم ينفعوا في
قلع جذور الإسلام. أما الآن، فقد اتجه تفكير القادة من
حكومتنا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله تحت خطة
مدروسة دقيقة وبصبر طويل ونهائي".

وما تشهده الساحة العربية، من حركات التكفيريين،
من استباحة للأرض، والعرض، والقتل، والفتك، خير دليل
وبرهان على صحة ما جاء في هذه المذكرات.

● ملاحظة:

1 - وجدت أكثر من نسخة لمذكرات (همفر) وقد قابلت بينها
فوجدتها متطابقة، نسخة نشرت في تركيا، ونسخة في بيروت.
وأشكر الزميلين محمد إبراهيم حمدان وعدنان رمضان اللذين
قدّما كل نسخته.

هوامش:

- 1 - حامد حسن - وجهاً لوجه أمام التاريخ - دمشق 1992 - مطبعة عكرمة ص (47).
- 2 - المصدر نفسه - ص 48.
- 3 - المصدر نفسه ص 49.
- 4 - المصدر نفسه ص 49.
- 5 - تاريخ الحروب الصليبية - المجلد الأول.
- 6 - "مؤتمر لندن للفعاليات الأوروبية السياسية الاقتصادية. عن: "وثائق التدخل الأجنبي في العالم العربي - مكتب الدراسات والأعداد الحزبي - لحزب البعث العربي الاشتراكي.

مذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية

- 1 -

كانت دولة بريطانيا العظمى تفكر منذ وقت طويل حول إبقاء الإمبراطورية وسيدة كبيرة كما هي عليها الآن من إشراق الشمس على بحارها حين تشرق وغروب الشمس في بحارها حين تغرب فإن دولتنا كانت صغيرة بالنسبة إلى المستعمرات الكثيرة التي كنا نسيطر عليها في الهند وفي الصين وفي الشرق الأوسط وغيرها. صحيح إننا لم نكن نسيطر سيطرة فعلية على أجزاء كبيرة من هذه البلاد لأنها كانت بيد أهاليها إلا أن سياستنا فيها كانت سياسة ناجحة وفعالة وكانت في طريق سقوطها بأيدينا كلية فكان اللازم علينا أن نفكر مرتين:

1- مرة لأجل إبقاء السيطرة على ما تم السيطرة عليه فعلاً.

2- ومرة لأجل ضم ما لم تتم السيطرة عليه فعلاً إلى ممتلكاتنا ومستعمراتنا.

وقد خصصت وزارة المستعمرات لكل قسم من أقسام هذه البلاد لجاناً خاصة لأجل دراسة هذه المهمة وكنت أنا من حسن الحظ مورد ثقة الوزير منذ دخلنا هذه الوزارة، وعهد إلي بمهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجارية بحتة وفي الباطن تعزيز سبل السيطرة على الهند وعلى طرقها الموصلة إلى هذه الأراضي الشاسعة شبه القارة.

وكانت الحكومة واثقة من الهند حيث القوميات المختلفة والأديان المتشعبة، واللغات المتباينة والمصالح المتضاربة، كما كانت الحكومة واثقة من الصين حيث أن البوذية والكنفوشيوسية الغالبة على هذه البلاد لم تكونا بحيث يخشى من قيامهما لأنهما دينان ميثان يهتمان بجانب الروح فلا صلة لهما بجانب الحياة فكان من المستبعد أن يسري الشعور بالوطنية في أهالي هاتين المنطقتين، ولذلك لم

يكن يقلق بال حكومة بريطانيا العظمى هاتان المنطقتان (نعم) لم نكن غافلين عن إمكان تطور المستقبل ولذا كنا نضع الخطط الطويلة الأمد لأجل سيطرة التفرقة والجهل. والفقر، وأحياناً المرض - أيضاً - على هذه البلاد وكنا لا نجد صعوبة في تغطية نوايانا بغطاء من المشتبهات النفسية لأهالي هذه البلاد براق في ظاهره متين في واقعه فكنا بذلك نطبق المثل البوذي القديم (دع المريض يشعر بحبه للدواء وإن كان مرّ المذاق).

لكن الذي كان يقلق بالنا هي البلاد الإسلامية، فإننا وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض⁽¹⁾ عدة من المعاهدات كلها كانت في صالحنا، وكانت تقديرات خيرا وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسه الأخير في أقل من قرن، وكذلك كنا قد عقدنا مع حكومة الفرس - سراً - عدة معاهدات، وكنا قد زرنا الجواسيس والعملاء في هذين البلدين، وكانت الرشوة، وفساد الإدارة، وانشغال ملوكها بالنساء الحسنات قد نخرت في جسم هذين البلدين إلا أننا لم نكن نثق بالنتائج وذلك لعدة أسباب أهمها:

(1) يقصد الإمبراطورية العثمانية.

- 1 - قوة الإسلام في نفوس أبنائه فإن الرجل المسلم يلقي قياده إلى الإسلام بكل صلابه حتى أنك ترى الإسلام في نفس المسلم بمنزلة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان، وتزهق نفوسهم ولا تخرج المسيحية منها.
- 2 - إن الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد، فإن نخوة السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي مهما كان في ضعف وانحطاط ولم يكن بإمكاننا أن نزيّف تاريخ الإسلام حتى نشعر المسلمین بأن السيادة التي حازوها كانت بفعل ظروف خاصة قد ولت إلى غير رجعة.
- 3 - لم نكن نأمن من تحرك الوعي في نفوس (آل عثمان) و(حكام فارس) بما يوجب فشل خططنا الرامية إلى السيطرة، صحيح أن الحكومتين قد بلغتا من الضعف مبلغاً كبيراً كما ألمحنا إليه إلا أن وجود حكومة مركزية يواليها الناس وبيدها السيادة والمال والسلاح يجعل الإنسان غير آمن.
- 4 - كنا شديدي القلق من علماء المسلمين، فعلماء الأزهر، وعلماء العراق، وعلماء فارس كانوا أمنع

سداً أمام آمالنا وكانوا في غاية الجهل بمبادئ الحياة
العصرية وقد جعلوا نصب أعينهم (الجنة التي وعدهم
بها القرآن) فكانوا لا يتنازلون قدر شعرة عن
مبادئهم، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم
خوف الفئران من الهرة، صحيح أن أهل السنة كانوا
أقل اتباعاً لعلمائهم، فإنهم يقيمون الولاء بين السلطان
وبين شيخ الإسلام، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاءً
للعلماء لأنهم يخلصون الولاء للعالم فقط، ولا يعيرون
السلطان أهمية كافية، إلا أن هذا الفرق لم يكن
ليخفف شيئاً من القلق الذي كان يساور وزارة
المستعمرات بل كل حكام بريطانيا العظمى.

وقد عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتمس الحلول الكافية
لهذه المشاكل المقلقة لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا إلا
الطريق المسدود، وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام عن
العملاء والجواسيس مخيبة للآمال، كما كانت نتائج
المؤتمرات كلها صفراً أو تحت الصفر، لكننا لم نكن ندع
المجال لليأس فينا، حيث عودنا أنفسنا النفس الطويل،
والصبر اللامتناهي.

وأذكر ذات مرة أننا عقدنا مؤتمراً حضره الوزير
بشخصه وأكبر القساوسة، وعدد من الخبراء، كان عددنا
جميعاً عشرين شخصاً، وطال النقاس أكثر من ثلاث
ساعات، وانتهينا بدون أية نتيجة، إلا أن القس قال: (لا
تنزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة
سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولأتباعه، وعسى أن
ينظر إلينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار
عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة، فعلينا أن نتسلح
بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل
والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المحمديين ولو
وصلنا إلى النتيجة بعد قرون، فإن الآباء يزرعون للأنباء).

وحتى أنه - ذات مرة - عقد في الوزارة مؤتمر حضره
ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان
مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لقيفاً من
الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين وكان من حسن حظي أن
حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير وعرض
المؤتمرون مشاكل المحمديين عرضاً وافياً، ذكروا فيه
سبل تمزيقهم وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حظيرة

الإيمان كما رجعت إسبانيا إليها بعد قرون من غزو
المحمديين البرابرة لها لكن النتائج لم تكن بالمستوى
المطلوب، وقد كتبت أنا كل ما دار من نقاش في ذلك
المؤتمر في كتابي: (إلى ملكوت المسيح).

إنه من الصعب أن تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق
الأرض وغربها، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب
مهما كان الثمن، إن المسيحية لم تأت إلا لتنتشر، وقد
وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه، أما محمد فقد ساعده
ظرف انحطاط العالمين الشرقي والغربي وظرف الانحطاط
إذا ولى فقد يذهب معه أيضاً ما رافقه من ويلات ومن حسن
الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المحمديون وارتفعت
بلاد المسيح فآن الوقت لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه
طيلة قرون، وهاهي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى
تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة.

- 2 -

أوفدتني وزارة المستعمرات عام (1710) إلى كل من مصر والعراق، وطهران. والحجاز، والأستانة، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام، ويُعث في نفس الوقت تسعة آخرين من خيرة الموظفين لدى الوزارة ممن تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس لسيطرة الحكومة على سائر الأجزاء للإمبراطورية، وسائر بلاد المسلمين، وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي، والمعلومات اللازمة، والخرائط الممكنة، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل، ولم أنس كلمة السكرتير حين ودعنا باسم السيد المسيح وقال: (إن على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا فابدوا ما عندكم من طاقات للنجاح).

فأبحرت أنا ميمماً وجهة الأستانة مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة، وحيث كان من

المفروض أن أكمل تعلمي للغة التركية لغة المسلمين هناك فقد كنت تعلمت شيئاً كثيراً من ثلاث لغات في لندن اللغة التركية، ولغة العرب (لغة القرآن) واللغة الفلهروية لغة أهل فارس، لكن تعلم اللغة شيء والسيطرة على اللغة حتى يتمكن الإنسان أن يتكلم مثل لغة أهل البلاد شيء آخر، فبينما لا يستغرق الأول إلا سنوات قلائل، يستغرق الأمر الثاني أضعاف ذلك الوقت، فإن المفروض أن أتعلم اللغة بكافة دقائقها حتى لا يثار حولي شبهة.

ولكني لم أكن أقلق لهذه الجهة لأن المسلمين عندهم تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كما علمهم نبيهم فالشبهة عندهم لا تكون كالشبهة عندنا، ومن طرف آخر إن حكومة الأتراك لم تكن في المستوى اللائق لكشف الجواسيس والعملاء فقد كانت حكومة آخذة في الضعف والهزال مما يؤمن جانبنا.

وبعد سفرة مضية وصلت إلى آستانة وسميت نفسي (محمداً) وأخذت أحضر المسجد (مكان اجتماع المسلمين لعبادتهم) وراقني النظام والنظافة والطاعة التي وجدتها عندهم، وقلت في نفسي: لماذا نحارب نحن هؤلاء البشر؟

ولماذا نعمل من أجل تمزيقهم وسلب نعمتهم؟! هل أوصانا المسيح بذلك؟! لكنني رجعت فوراً واستتفرت من هذا التفكير الشيطاني، وجددت العزم على أن أشرب إلى آخر الكأس.

وقد التقيت هناك بعالم طاعن في السن اسمه (أحمد أفندم) وكان من طيب النفس ورحابة الصدر وصفاء الضمير وحب الخير، ما لم أجده في أحسن رجال ديننا، وكان الشيخ يحاول ليله ونهاره في أن يتشبه بالنبي محمد، فكان يجعله المثل الأعلى، وكلمة ذكره فاضت عيناه بالدموع، ومن حسن الحظ أنه لم يسألني - حتى مرة واحدة - عن أصلي ونسبي وإنما كان يخاطبني (محمد أفندي) ويعلمني ما كنت أسأله ويحنو علي حنواً كبيراً حيث عرف أنني ضيف في بلادهم جئت لأن أعمل ولأجل أن أكون في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمداً (فقد كانت هذه حجتي في البقاء في الأستانة).

وكنت قد قلت للشيخ: إني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي أخوة، وتركوا لي شيئاً من المال ففكرت أن أكتسب وأن أتعلم القرآن والسنة فجئت إلى مركز الإسلام

لأحصل على الدين والدنيا فرحب بي الشيخ كثيراً وقال لي ما نصه - وقد كتبته بلفظه - إن الواجب أن نحترمك لعدة أسباب:

1 - لأنك مسلم والمسلمون أخوة.

2 - ولأنك ضيف وقد قال رسول الله ﷺ (أكرموا الضيف).

3 - ولأنك طالب علم والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم.

4 - ولأنك تريد الكسب وقد ورد نص بأنه (الكاسب حبيب الله).

وقد أعجبت أنا بهذه الأمور أيما إعجاب، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تعي مثل هذه الحقائق النيرة، لكنني تعجبت كيف أن الإسلام في هذه الرفعة شمله الضعف والانحطاط على أيدي هؤلاء الحكام المغرورين وهؤلاء العلماء الجهلة بالحياة.

قلت للشيخ: إنني أريد أن أتعلم القرآن المبين، فرحب الشيخ بالطلب وأخذ يعلمني من سورة (الحمد) ويفسر لي المعاني وقد كنت أجد مشقة في النطق ببعض ألفاظها،

وأحياناً كانت المشقة منتهاها، وأذكر أنني لم أتعلم النطق بجملة (وعلى أمم ممن معك) إلا بعد تكرارها عشرات المرات في ظرف أسبوع، حيث قال لي الشيخ اللازم عليك الادغام حتى تتولد ثماني ميمات، وكيفما كان فقد قرأت القرآن عنده في مدة سنتين كاملتين من أوله إلى آخره، وكان إذا أراد تعليمي توضأ وضوء الصلاة وأمرني بالتوضؤ كما كان هو وأنا نجلس إلى جهة القبلة.

والجدير بالذكر أن أذكر أن (الوضوء) عند المسلمين جملة من الأغسال فأولاً يغسلون الوجه وثانياً اليد اليمنى من الأصابع إلى المرفق وثالثاً اليد اليسرى من الأصابع إلى المرفق ورابعاً يمسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة، وخامساً يغسلون الرجلين.

ويقولون: الأفضل أن يدير الشخص الماء في فمه، وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنفه، قبل البدء في الوضوء.

وقد كنت أنزعج انزعاجاً كبيراً من (المسواك) وهي (عودة) يدخلونها في أفواههم لأجل تنظيف الأسنان قبل الوضوء، فقد كنت أعتقد أن هذه (العودة) تضر الأسنان والفم، وكانت أحياناً تجرح الفم ويخرج الدم منه، لكنني

كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سنة مؤكدة أمر بها نبيهم محمد وهم يذكرون لها فضائل كثيرة.

لقد كنت أيام إقامتي في (الأستانة) أنام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال وكان إنساناً عصبي المزاج واسمه (مروان أفندي) وهو اسم أحد أصحاب الرسول محمد، وكان الخادم يعتز بهذا الاسم المبارك، وكان يقول لي: إن رزقت ولداً سمّه (مروان) لأنه من كبار شخصيات المجاهدين في الإسلام.

وكنت أتعشى هناك عند الخادم حيث كان يهيئ لي الطعام، وأيام الجمعة (وهي عيد المسلمين) لم أكن أذهب إلى العمل، أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك اشتغل عنده لقاء أجر زهيد كان يدفعه لي أسبوعياً، وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عماله، وكان اسم النجار (خالد) وكان يثرثر في أوقات فراغه عن فضائل (خالد ابن الوليد) الفاتح الإسلامي الذي صحب محمداً النبي وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً لكنه كان يحز في نفسه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد.

وكان خالد صاحب المحل سيء الأخلاق عصبي المزاج إلى أبعد حد وكان يطمئن مني اطمئناناً لم أدر سببه، ولعله وثق بي حيث كنت سامعاً مطيعاً له، لا أناقشه في شؤونه الدينية، ولا في شؤون دكانه، وكان إذا خلا بي طلب مني أن يلوط بي وكان هذا العمل عندهم من أشد المنوعات - كما قال لي الشيخ أحمد - إلا أن خالداً كان يهتم بالشريعة في باطن أمره وإن كان في ظاهر أمره ملتزماً بالتظاهر عند رفاقه بها، وكان يحضر صلاة الجمعة أما في سائر الأيام لا أعلم هل كان يصلي أم لا؟ لكنني كنت أمتنع عن إعطائه رغبته، وأظن أنه كان يعمل ذلك مع بعض آخر من عماله، حيث كان أحد العاملين شاباً جميلاً من (سلانيك) وكان يهودياً قد أسلم، فكان يصحبه معه أحياناً إلى خلف المحل الذي كان مخزناً لأخشابه، ويتظاهران أنهما يذهبان هناك لإصلاح المخزن، لكنني كنت أعلم أنهما يذهبان لقضاء الحاجة.

كنت أتغدى في الدكان، ثم أذهب للصلاة في المسجد ثم أبقى في المسجد إلى وقت العصر، فإذا فرغت من صلاة العصر ذهبت إلى دار (الشيخ أحمد) وأبقى معه مدة ساعتين

أتعلم عنده القرآن، واللغة التركية، واللغة العربية وفي كل جمعة كنت أدفع له زكاة ما حصلت عليه في الأسبوع من المال، وفي الحقيقة الزكاة كانت رشوة مني له لاستمرار علاقتي به، ولأجل أن يعلمني أفضل تعليم وكان هو لا يقصّر في تعليمي القرآن ومبادئ الإسلام ودقائق اللغتين العربية والتركية.

ولما علم الشيخ أحمد أني أعزب طلب إلي أن يزوجني إحدى بناته لكنني أبييت ذلك بحجة أني (عنيّن) لا أملك ما يملكه الرجال، ولم أبدأ له هذا العذر إلا بعد أن أصر وكادت علاقتي أن تنفصم معه من أجل أنه كان يقول: الزواج سنة الرسول، وقد قال الرسول (من رغب عن سنتي فليس مني) وحينذاك لم أجد بداً من إظهار هذا المرض (المكذوب له) فافتتح الشيخ وعادت العلاقة كما كانت من الود والصفاء.

بعد إتمام سنتين من مكثي في (الأستانة) استأذنت للعودة إلى وطني ولكن الشيخ لم يأذن قائلاً: لماذا الرجوع؟ إن الأستانة فيها ما تشتهيئه الأنفس وتلذ الأعين وقد جمع الله فيها بين الدنيا والدين، وأردف: إنك قلت سابقاً إنه مات أبوك وأمك وليس لك أخوة فاجعل الأستانة وطنك.. وكان

الشيخ يصر علي في البقاء لإنسه بي، وكنت أنا أيضاً أنست به أنساً كبيراً، لكن الواجب الوطني كان يجبرني بالرجوع إلى لندن لتقديم تقرير مفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة، ولأتزود بأوامر جديدة حول مهمتي.

وقد جرت العادة - طيلة مكثي في الأستانة - أن أقدم كل شهر تقريراً عن حالي وعن التطورات وعمما شاهدته إلى وزارة المستعمرات، وأذكر أنني ذات مرة قدمت تقريراً ضمنته ما أراد مع صاحب المحل من عمل اللواط، فجاء الرد أن لا مانع من ذلك إذا كان في هذا الفعل تسهيل الوصول إلى الهدف، ولما قرأت الجواب دارت بي الأرض الفضاء وفكرت كيف لا يستحي رؤسائي من الأمر بمثل هذا العمل الشنيع. لكنه لم يكن لي بد من شرب الكأس إلى الثمالة فبقيت في وظيفتي من دون أن أنبس ببنت شفة.

وفي يوم الوداع مع الشيخ انهمرت عيناه بالدموع، وودعني قائلاً: الله معك يا ولدي، وإذا عدت إلى هذا البلد وأنا ميت فاذكروني، وسوف نلتقي عند رسول الله ﷺ في المحشر، وفي الواقع أنني تأثرت تأثراً بالغاً وجرت دموعي حارة، لكن الواجب كان فوق العواطف.

- 3 -

كان الرفاق التسعة الآخرون تلقوا أوامر من الوزارة لحضورهم إلى لندن كما تلقيت أنا أيضاً لكن من سوء الحظ لم يرجع منا إلا ستة فقط.

أما الأربعة الآخرون فقد صار أحدهم مسلماً وبقي في مصر - كما أخبرنا بذلك السكرتير - لكن السكرتير أظهر ارتياحه بأنه لم يفش السر كما التحق أحدهم بروسيا وقد كان هذا من أصل روسي وكان السكرتير يبدي قلقاً شديداً حوله، لا لأنه التحق بالوطن الأم، ولكن من أجل أن السكرتير كان يظن أن الرجل كان جاسوساً من قبل الروس في وزارة المستعمرات فلما انتهت مهمته رجع إلى بلاده، وكان الثالث منهم مات في (عمارة) بلد طرف (بغداد) على أثر (وباء) اجتاح البلاد هناك على ما أخبرنا السكرتير بذلك، أما الرابع فلم يعلم عن مصيره إذ راقبته الوزارة حتى وصوله إلى (صنعاء) في (اليمن) من بلاد العرب

وكانت تقاريره ترسل بانتظام إلى الوزارة فترة سنة، لكنها انقطعت بعد ذلك، وكلما حاولت الوزارة الاطلاع على أحواله لم تحصل على شيء، وقد كانت الوزارة تعتبر خسارة أربعة من عشرة كارثة حيث كنا نحسب لكل إنسان حساباً دقيقاً، فإننا أمة قليلة العدد كبيرة المهام، نفقد كل إنسان من هذا الطراز كان كارثة عندنا.

وبعد أن سمع السكرتير أوليات تقاريري، أرسلني إلى مؤتمر عقد لأجل الاستماع إلى تقاريرنا - نحن الستة - وقد اجتمع حشد كبير من وزارة المستعمرات برئاسة الوزير نفسه لاستماع تقاريرنا، وقدم زملائي تقارير أولية عن المهمة التي أوكلت إليهم، كما قدمت أنا تقريراً التقطت فيه رؤوس الأقلام، واستحسن أعمال الوزير والسكرتير وبعض الحاضرين، لكنني لاحظت أنني كنت الثالث من حيث جودة العمل، حيث كان الزميلان (جورج بلكود) و(هنري فانس) في الدرجتين الأولى والثانية من حيث جودة العمل.

لقد كنت نجحت نجاحاً باهراً في تعلم التركية والعربية وتعلم القرآن والشريعة، لكنني لم أحرز نجاحاً في تقديم تقرير يدل الوزارة على مواقع الضعف في الدولة

العثمانية. وبعد ما انفض المجلس الذي دام ست ساعات لفتَ نظري السكرتير إلى هذه النقطة من الضعف (قلت له: إن مهمتي كانت تعلم اللغة والشريعة والقرآن، ولذا فإني لم أبذل وقتاً كافياً لغير ذلك وسوف أكون عند حسن ظنكم في السفارة القادمة إن أوليتم ثقثكم بي (قال) السكرتير لا شك بأنك ناجح لكني أمل منك أن تحرز قصب السبق في هذه الحلبة.

إن مهمتك (يا همفر) في السفارة القادمة أمران:

1- أن تجد نقطة الضعف عن المسلمين، والتي نتمكن بها من أن ندخل في جسمهم ونبدد أوصالهم، فإن أساس النجاح على العدو هو هذا.

2 - أن تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف، فإن قدرت على المهمة فسوف اطمئن بأنك أنجح العملاء، وستستحق وسام الوزارة.

بقيت في لندن مدة ستة أشهر وتزوجت بابنة عمي (ماري شواي) التي كانت تكبرني سنة، فكان عمري إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة بينما كان عمرها ثلاثاً وعشرين سنة وكانت فتاة متوسطة الذكاء بارعة الجمال وثقافتها عادية

وقضيت أجمل أيام حياتي معها تلك المدة وحملت مني وقد كنت أنتظر الضيف الجديد بفارغ الصبر وإذا بالأوامر الصارمة تصدر من الوزارة في أن أتوجه إلى إقليم (العراق) البلد العربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل.

وقد أسفت لهذه الأوامر في وقت انتظر فيه ولدي، لكن اهتمامي ببلدي وحببي للشهرة بين زملائي كانا يفوقان عواطف الزوجية والولد ولذا لم أتردد في القبول رغم إلحاح زوجتي أن أرجئ الأمر إلى بعد ولادتها، ويوم فارقتها بكيت أنا وبكت هي بكاءً مرأً، وقال لي: لا تتقطع عني بإرسال الرسائل كما سأخبرك أنا أيضاً عبر الرسائل بعشنا الذهبي الجديد وهذه الكلمة كانت عاصفة على قلبي حتى أنني صممت أن ألغي السفارة لكنني تملكيت عواطفني وودعتها وخرجت إلى الوزارة لأحصل على الإشارات الأخيرة.

وبعد ستة أشهر وجدت نفسي (في البصرة) من (العراق) وهو بلد عشائري وأهله مختلطون من السنة والشيعة الجناحين الإسلاميين كما أنهم مختلطون من العرب والفرس وفيهم قلة من المسيحيين.

ولأول مرة طوال حياتي ألتقي بالشيعة وبالفرس ولا بأس
أن أذكر شيئاً عن الشيعة والسنة، فالشيعة ينتسبون إلى
علي بن أبي طالب وهو صهر رسولهم علي بنته (فاطمة)،
وكان في نفس الوقت ابن عم الرسول أيضاً وتقول الشيعة:
إن رسولهم محمداً عين علياً خليفةً من بعده وقال بأن علياً
وأولاده الأحد عشر خليفة بعد خليفة.

واني أظن أن الحق مع الشيعة في (خلافة علي والحسن
والحسين) لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب
مطالعاتي - أن علياً كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله
للقيادة، ولا أستبعد أن يكون الرسول (محمد) قال بأن
الحسن والحسين أيضاً إمامان، وهذا، لا ينكره أهل السنة
أيضاً، لكنني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين
(التسعة) أيضاً عينهم الرسول (محمد) خلفاء له، إذ كيف
يعلم (محمد) المستقبل، لأنه قد مات والحسين طفل،
فكيف يعلم بأنه سيكون للحسين أولاد ويكونون
مسلسلين إلى تسعة (نعم)، لو كان (محمد) رسولاً حقاً
لكان من الممكن أن يعلم كل ذلك بإرشاد من الله كما
كان المسيح يخبر بالمستقبل، لكن نبوة محمد مشكوك
بها عندنا نحن المسيحيين.

إن المسلمين يقولون: بأن القرآن دليل نبوة (محمد) لكنني قرأت القرآن فلم أجد في دليلاً، أنه لا شك كتاب رفيع، بل هو أرفع مستوى من التوراة والإنجيل ففيه دساتير وأنظمة وأخلاقيات وغير هذه، لكن هل هذا وحده كفيلاً بالدلالة على صدق (محمد).

إنني متحير في أمر (محمد) أشد التحير، إن رجلاً بدوياً لا يقرأ ولا يكتب كيف يمكنه أن يأتي بهذا الكتاب الرفيع، وهو شخصياً يكون ذا خلق وذكاء لم يعهد مثلهما في أي عربي دارس فكيف بالعربي البدوي الذي لم يقرأ ولم يكتب، هذا من جانب، ومن جانب آخر: فهل يكفي مثل ذلك للتدليل على نبوته؟

لقد كنت دائم التطلع لكي أتعرف على هذه الحقيقة، وطرحت - ذات مرة - هذا الموضوع مع أحد القساوسة في لندن، لكنه لم يأت بجواب مقنع وإنما تكلم عن تعصب وعناد، كما أنني مررت بفتح هذا البحث مع الشيخ أحمد في تركيا فلم يأت بجواب مقنع لي، لكن من الحق أن أقول: إنني لم أقدر أن أتكلم مع الشيخ بصراحة خوفاً من أن ينكشف أمري، أو يشك في.

وعلى أية حال: فإنني أقدر (محمدًا) تقديرًا كبيرًا، إنه لا شك كان من طراز أنبياء الله الذين نقرأ عنهم في الكتب، لكنني غير مقتنع بنبوته إلى الآن، ولو فرضنا أنه لم يكن نبياً، لكن من المستحيل أن يعتقد الإنسان الذي يحترم ضميره أنه مثل سائر العباقر، إنه لا شك كان فوق العباقر، وأرفع من الأذكياء.

أما أهل السنة فإنهم يقولون: إن المسلمين رأوا - بعد الرسول - بأن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من علي، ولذلك تركوا أمر الرسول (محمد) واتخذوا هؤلاء خلفاء للرسول.

إن مثل هذا النزاع موجود في كل دين وفي المسيحية بصورة خاصة لكنني لا أعلم ما هو المبرر لبقاء هذا النزاع، فقد مات (علي وعمر) وعلى المسلمين - (إن كانوا عقلاء) - أن يفكروا في هذا اليوم لا في الماضي السحيق.

ذات مرة ذكرت لبعض رؤسائي في الوزارة اختلاف السنة والشيعة وقلت له: إنهم لو كانوا يفهمون الحياة لتركوا النزاع ووجدوا كلمتهم، فنهزني الرئيس قائلاً: الواجب عليك أن تزيد الشقة لا أن تحاول جمع كلمة المسلمين.

وبهذه المناسبة أن السكرتير قال لي في إحدى الجلسات التي اجتمعت معه قبل سفرتي إلى (العراق): اعلم يا (همفر) أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله (هابيل وقابيل) وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح.

1- فمن نزاعات لونية.

2- ومن نزاعات قبلية.

3- ومن نزاعات إقليمية.

4- ومن نزاعات قومية.

5- ومن نزاعات دينية.

ومهمتك في هذه السفارة أن تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك وإن تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى.

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاه إلا بإلقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات، كما أننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين رعاياها، وإلا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من أن تسيطر

على أمة كبيرة العدد فاجتهد بكل قواك أن تجد الثغرة
وأن تدخل من الثغرة، وليكن على علمك أن (سلطة الترك)
و(سلطة الفرس) قد ضعفتا فليس عليك إلا أن تثير الشعوب
ضد حكامها كما ثار الثوار في كل التاريخ ضد الحكام.
فإذا انشقت كلمتهم وتفرقت قواهم ضمنا استعمارهم من
أسهل طريق.

- 4 -

لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوي إلى أحد المساجد
وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل وسامه
(الشيخ عمر الطائي) فتعرفت عليه وتلاطفت معه، لكن
الرجل شك بي من أول لحظة وأخذ يحقق من أصلي ونسبي
وسائر خصوصياتي، وأظن أن لوني ولهجتي هما قادا الشيخ
إلى الشك لكنني تمكنت من الخروج عن المأزق بأني من
أهالي (اغدير) في (تركيا) وأني تلميذ (الشيخ أحمد) في
الأسنانة، وكنت نجاراً في محل (خالد)... وإلى آخر ما

هنالك من المعلومات التي حصلتها مدة إقامتي في (تركيا) وتكلمت جملاً باللغة التركية، وانتبهت أن الشيخ أشار بعينه إلى أحد الحاضرين مستفسراً منه هل أني أتكلم التركية صحيحاً أم لا؟ وأشار المسؤول عنه بعينه بالإيجاب وفرحت إذ تمكنت من جلب قلب الشيخ، لكن ظني كان سراياً خادعاً، فقد علمت بعد أيام أن الشيخ ينظر إلي بنظر الريبة، ويظنني جاسوساً لتركيا، حيث تبين لي فيما بعد أن الشيخ على خلاف مع (الوالي) المعين من قبل السلطان وأن بينهما تبادل الاتهام وسوء الظن.

وعلى كل فلم أجد بداً من أن أنسحب عن مسجد (الشيخ عمر) إلى (خان) كان محل الغرياء والمسافرين، وقد استأجرت غرفة في الخان، وكان صاحب الخان رجلاً أحرق يسلب راحتي كل صباح، فقد كان يأتي أول الفجر إلى باب الغرفة ويطرقة بعنف لأقوم لصلاة الصبح، وكنت أنا مجبوراً لمسايرته فكنت أقوم وأصلي صلاة الصبح، ثم يأمرني بقراءة القرآن إلى طلوع الشمس ولما قلت له إن قراءة القرآن ليست واجبة فلماذا هذا الإصرار قال: بأن من ينام في هذا الوقت يجلب الفقر والنكبة للخان ولأهل الخان وحيث

لم يكن لي بد من إجابته إذ هددني بالطرد إن لم أعمل بما يقول صرت مجبوراً على أن أصلي أول الأذان ثم أتلو القرآن أكثر من ساعة كل يوم.

ولم تكن المشكلة لتنتهي إلى هذا الحد، فلقد جاءني صاحب الخان - واسمه (مرشد أفندم) - ذات يوم وقال: إنك منذ أن استأجرت مني الغرفة ابتليت أنا بالمشاكل ولا أراها إلا من طالعك وقد فكرت في أن سبب ذلك أنك أعزب والعزب شؤم، فإما أن تتزوج وإما أن تخرج من الخان، قلت: إني لا أملك المال لكي أتزوج (وخشيت أن أقول له إني عنين حيث لم أكن استبعد أن يريد تجربة عورتي هل أصدق أم لا؟ إذا اعتذرت بهذا العذر فإن (مرشد أفندم) كان من هذا الطراز).

قال لي (الأفندم) يا ضعيف الإيمان ألم تقرأ قول الله تعالى ﴿أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ووقعت في حيرة شديدة من أمري ماذا أفعل؟ وبماذا أجيبه؟ وأخيراً قلت له: حسناً كيف أتزوج بلا مال؟ وهل أنت مستعد لأن تقرضني المال الكافي أو أن تجد لي زوجة بلا مهر؟

فكر (الأفندم) قليلاً ثم رفع رأسه ليقول: إنني لا أفهم كلامك وأخيرك بين أن تتزوج إلى أول شهر رجب المرجب أو أن تخرج من الخان.

وكان لم يبق إلى أول شهر رجب إلا خمسة وعشرون يوماً حيث كنا في الخامس من شهر جمادى الثانية.

وبالمناسبة فإن أسماء الأشهر الإسلامية بهذا التسلسل (محرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة) وأشهرهم حسب رؤية الهلال ولا تزيد أيامها عن (30) يوماً، ولا تنقص عن (29) يوماً.

وأخيراً رضخت لأمر (الأفندم) ووجدت مكاناً عند (نجار) تعاقدت معه أن أعمل كعامل عنده بأجرة زهيدة ويكون أكلي ونومي أيضاً عنده، وقبل أن ينتهي الشهر خرجت من الخان لألقي رحلي في دكان (النجار) وكان رجلاً شهماً شريفاً عاملني كأحد أولاده وكان اسمه (عبد الرضا) وكان شيعياً فارسياً من أهالي (خراسان). وقد انتهزت فرصة وجودي عنده أن أتعلم منه اللغة الفارسية، وكان الشيعة العجم يجتمعون عنده كل عصر ويتكلمون

على حكومتهم كثيراً كما يتجهجون على الخليفة في
(الأستانة) أما إذا جاء (زيون) لا يعرفونه انقطعوا عن
الكلام فوراً وأخذوا يتكلمون في قضاياهم الشخصية.

وإني لا أعلم كيف وثقوا بي هذه الثقة، لكنني علمت
أخيراً أنهم ظنوا أنني من أهالي (أذربايجان) حيث علموا أنني
أعرف اللغة التركية وساعدهم على هذا الظن لوني المائل
إلى البياض، اللون الغالب على أهالي (أذربايجان).

وهنا على هذه الحال كنت تعرفت على شاب كان
يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث التركية
والفارسية والعربية كان في زي طلبة العلوم الدينية وكان
يسمى بـ (محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية
عصبي المزاج، ناقماً على الحكومة العثمانية، أما حكومة
فارس فلم يكن له شأن بها، وكان سبب صداقته مع
صاحب المحل (عبد الرضا) أن الاثنين كانا ناقلين على
الخليفة وإني لا أعلم من أين كان هذا الشاب يعرف اللغة
الفارسية مع أنه كان من أهل السنة وكيف صادق مع (عبد
الرضا الشيعي)؟ إلا أن كلا الأمرين لم يكن غريباً ففي
البصرة يلتقي السني بالشيوعي وكانهما إخوة كما يعرف

كثير من القاطنين في البصرة اللغتين الفارسية والعربية ،
وأن كثيراً منهم يعرف أيضاً اللغة التركية.

كان (محمد عبد الوهاب) شاباً متحرراً بكل معنى
الكلمة لا يتعصب ضد الشيعة - كما كان هو الحال عند
غالب أهل السنة حيث يتعصبون ضد الشيعة حتى أن جماعة
من مشايخ أهل السنة يكفّرون الشيعة ويقولون إنهم ليسوا
مسلمين - كما أنه لم يكن يرى أي وزن لأتباع المذاهب
الأربعة المتداولة بين أهل السنة ويقول: إنها ما أنزل الله بها
من سلطان.

وقصة المذاهب الأربعة هي: أن السنة من المسلمين بعد
أكثر من قرن من موت نبيهم نبغ فيهم أربعة علماء هم (أبو
حنيفة) و(أحمد بن حنبل) و(مالك) و(محمد بن أدريس)
فألزمهم بعض الخلفاء بأن يقلدوا أحد هؤلاء الأربعة وأنه
ليس لعالم من العلماء أن يجتهد في القرآن وسنة الرسول
وهذا في الحقيقة كان غلقاً لباب فهمهم وإلى هذا التحريم
للاجتهاد يعزى جمود المسلمين، وقد انتهزت الشيعة هذه
الفرصة لنشر مذهبهم على أوسع نطاق، حتى أنه بعد أن
كان عدد الشيعة لا يبلغ عشر عدد السنة أخذ عددهم

بازدياد فأصبح عددهم بعدد أهل السنة ، ومن الطبيعي أن يكون كذلك فإن الاجتهاد تطوير في فقه الإسلام وتجديد لفهم القرآن والسنة على ما يتطلبه حاجات الزمان كالسلاح المتطور، بخلاف حصر المذهب في طريقة خاصة وغلق باب الفهم وسد السمع عن نداء حاجات الزمان فإنه كالسلاح البالي، وإذا كان لك سلاح بال ولعدوك سلاح متطور لابد وأن يتغلب عدوك عليك إن عاجلاً أو آجلاً (وإني أظن أنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاء أهل السنة باب الاجتهاد وإلا فإني أبشر أهل السنة بأنه لا تمضي قرون إلا وتكون السنة أقلية وتكون الشيعة أكثرية).

وكان الشاب الطموح (محمد) يقلد فهم نفسه في فهم القرآن والسنة ، ويضرب بآراء المشايخ، لا مشايخ زمانه والمذاهب الأربعة فحسب بل بآراء أبي بكر وعمر أيضاً عرض الحائط إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه، وكان يقول "إن الرسول قال إني مخلص فيكم الكتاب والسنة ولم يقل إني مخلص فيكم الكتاب والسنة والصحابة والمذاهب"، ولذا فالواجب أتباع الكتاب والسنة مهما كانت آراء المذاهب والصحابة والمشايخ مخالفة لذلك.

وقد جرى بينه وبين أحد علماء فارس الذي كان ضيفاً عند (عبد الرضا) على مائدة الطعام التي ضيّفنا عليها (عبد الرضا) في داره، وكان محمد، والشيخ جواد القميّ - وهذا هو اسم ذلك العالم الشيعي - وأنا وبعض أصدقاء صاحب البيت، أقول جرى بين (محمد) و(الشيخ) حوار عنيف لم أحفظه كلّهُ وإنما حفظت مقتطفات منه.

قال له (القمي): إذا كنت أنت متحرراً ومجتهداً كما تدعي فلماذا لا تتبع علياً كالشيعة؟ (قال محمد): لأن علياً مثل عمر وغيره ليس قوله حجة وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط (قال القمي): ألم يقل الرسول (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) إذا ففرق بين علي وبين باقي الصحابة (قال محمد) إذا كان قول علي حجة فلماذا لم يقل الرسول (كتاب الله وعلي بن أبي طالب)؟ (قال القمي) بل قال حيث قال ﷺ (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (وعلي) سيد العترة فأنكر (محمد) أن يكون الرسول قال ذلك، لكن (الشيخ القمي) جاء إليه بأدلة مقنعة حتى سكت (محمد) ولم يجر جواباً، لكن (محمداً) اعترض عليه وقال: إذا قال الرسول (كتاب الله وعترتي) فأين سنة الرسول؟ قال (القمي) سنة الرسول

هي شرح لكتاب الله، فلما قال الرسول (كتاب الله وعترتي) أراد (كتاب الله بشرحه الذي هو السنة) (قال محمد) أليس كلام العترة أيضاً شرحاً لكتاب الله؟ فما الحاجة إليهم؟ (قال القمي) لما مات الرسول احتاجت الأمة إلى شرح القرآن شرحاً يطابق حاجيات الزمن، ولذا فالرسول أرجع الأمة على الكتاب كأصل، وإلى العترة كشرح له فيما يتجدد من حاجات الزمن.

لقد أعجبت أنا بهذا البحث أيما إعجاب، ورأيت أن (محمدًا) الشاب أمام (القمي) الشيخ الطاعن في السن كالعصفور في يد الصياد لا يتمكن تحركاً.

لقد وجدت في (محمد الوهاب) ضالتي المنشودة، فإن تحرره وطموحه وتبرمه من مشايخ عصره ورأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة كان أكبر نقاط الضعف التي كنت أتمكن أن أتسلل منها إلى نفسه، وأين هذا الشاب المغرور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا فإنه كان مثال السلف كالجبل لا يحركه شيء، إنه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة (وكان الشيخ حنفي المذهب) قام

وتوضأ ثم ذكر اسم أبي حنيفة ، وإذا أراد أن يأخذ كتاب (البخاري) - وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقدسونه أيما تقديس - قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب.

أما (الشيخ محمد الوهاب) فكان يزدرى بأبي حنيفة أيما ازدراء ، وكان يقول عن نفسه (إنني أكثر فهماً من أبي حنيفة) ، وكان يقول (إن نصف كتاب البخاري باطل).

لقد عقدت بيني وبين (محمد) أقوى الصلات والروابط ، وكنت أنفخ فيه باستمرار وأبين له أنه أكثر موهبة من (علي - وعمر) وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة له دونهما وكنت أقول له دائماً (آمل من تجديد الإسلام على يدك فإنك المنقذ الوحيد الذي يرجى به انتشال الإسلام من هذه السقطة).

وقد قررت مع (محمد) أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة لا على ضوء فهم الصحابة والمذاهب والمشايخ ، وكنا نقرأ القرآن ونتكلم عن نقاط منها - كنت أقصد من ورائها إيقاع (محمد) في الفخ - وكان هو يسترسل في قبول آرائني ليظهر نفسه بمظهر المتحرر وليجلب ثقتي أكثر فأكثر.

قلت له ذات مرة: الجهاد ليس واجباً، قال: كيف وقد قال الله (جاهد الكفار) قلت الله يقول (جاهد الكفار والمنافقين) فإذا كان الجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد الرسول المنافقين (قال) جاهدهم الرسول بلسانه (قلت) إذاً فجهاد الكفار أيضاً واجب باللسان (قال) لكن الرسول حارب الكفار (قلت) حرب الرسول كان دفاعاً عن النفس حيث أن الكفار أرادوا قتل الرسول فدفعهم، فهز (محمد) رأسه علامة للرضا.

وقلت له ذات مرة (متعة النساء جائزة) قال: كلا (قلت) فالله يقول: (فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن) (قال) عمر حرم المتعة قائلاً (متعنتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما) قلت: أنت تقول أنا أعلم من عمر فلماذا تتبع عمر، ثم إذا قال عمر: إنه حرمها وأن الرسول حلها فلماذا تترك رأي القرآن ورأي الرسول وتأخذ برأي عمر؟ فسكت، ولما وجدت سكوته دليل الاقتناع، وقد أثرت فيه الغريزة الجنسية (ولم تكن له إذ ذاك زوجة) قلت له: ألا نتحرر أنا وأنت ونتخذ (متعة) نستمتع بها؟ فهز رأسه علامة الرضا، وقد اغتتمت أنا هذا الرضا أكبر

اغتنام، وقررت موعداً لآتي إليه بامرأة ليتمتع بها، وكان همي أن أكسر خوفه من مخالفة الناس، لكنه اشترط علي أن يكون الأمر سراً بيني وبينه وأن لا أخبر المرأة باسمه، فذهبت فوراً إلى بعض النساء اليهوديات اللاتي كن مجندات من قبل وزارة المستعمرات لإفساد الشباب المسلم، ونقلت لها كامل القصة، وجعلت لها اسم (صفية) وفي يوم الموعد ذهبت بالشيخ محمد إلى دارها، وكانت الدار خالية إلا منها فقرأنا أنا والشيخ صيغة العقد لمدة أسبوع، وأمهرها الشيخ نقداً ذهبياً، فأخذت أنا من الخارج و(صفية) من الداخل نتراوح على توجيه الشيخ محمد عبد الوهاب.

وبعد ما أخذت (صفية) من محمد كل مأخذ، وتذوق محمد حلاوة مخالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتهاد والاستقلال في الرأي والحرية، وفي اليوم الثالث من (المتعة) أجريت مع (محمد) حواراً طويلاً عن (عدم تحريم الخمر) وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفتها وقلت له أخيراً: لقد صح أن معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس كانوا يتعاطون الخمر فهل من الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب، إنهم لا شك

كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول مما يدل على أنهم لم يفهموا التحريم وإنما فهموا الكراهة والإعافة، وفي الأسفار المقدسة لليهود والنصارى إباحة الخمر، فهل يعقل أن يكون الخمر حراماً في دين وحلالاً في دين، والأديان كلها من عند إله واحد؟ ثم إن الرواة رووا أن عمر شرب الخمر حتى نزلت الآية (فهل أنتم منتهون) ولو كانت الخمر حراماً لعاقبه الرسول، فعدم عقاب الرسول دليل الحلية.

أخذ يسمعي (محمد) بكل قلبه، ثم تنهد وقال: بل تثبت في بعض الأخبار إن عمر كان يكسر الخمر بالماء ويشربها، ويقول إن سكرها حرام، لا، إذا لم تكن تسكر، ثم أردف الشيخ قائلاً (وكان عمر صحيح الفهم في ذلك) لأن القرآن يقول (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) فإذا لم تسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذكرت في الآية وعليه فلا نهى عن الخمر إذا لم تكن مسكرة.

أخبرت (صفية) بما جرى، وأكدت عليها أن يسقى الشيخ في هذه المرة خمرة مغلظة ففعلت وأخبرتني بعد ذلك

أن الشيخ شرب حتى الثمالة وعريد وجامعها عدة مرات في تلك الليلة وقد رأيت أنا آثار الضعف والنحول عليه غداة تلك الليلة، وهكذا استوليت أنا وصفية على الشيخ استيلاءً كاملاً.

ويا لها من روعة تلك الكلمة الذهبية التي قالها لي وزير المستعمرات حين ودعته (أنا استرجعنا إسبانيا من الكفار (يقصد المسلمين) بالخمير والبيغاء، فلنحاول أن نسترجع سائر بلادنا بهاتين القوتين العظيمنتين).

ذات مرة تكلمت مع الشيخ عن (الصوم) وقلت له: إن القرآن يقول (وإن تصوموا خير لكم) ولم يقل إنه واجب عليكم، فالصوم بنظر الإسلام مندوب وليس بواجب، لكنه قاوم الفكرة وقال (يا محمد تريد أن تخرجني من ديني) قلت له: يا وهاب إن الدين هو صفاء القلب وسلامة الروح وعدم الاعتداء على الآخرين، ألم يقل النبي (الدين الحب)؟ وألم يقل الله في القرآن الحكيم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)؟ فإذا حصل للإنسان اليقين بالله وباليوم الآخر، وكان طيب القلب نظيف العمل كان من أفضل الناس لكنه هز رأسه علامة للنفي وعدم الارتياح.

ومرة أخرى قلت له: (الصلاة ليست واجبة) قال:
وكيف؟ قلت لأن في القرآن يقول الله (وأقم الصلاة
لذكري) فالمقصود من الصلاة ذكر الله تعالى، فلك أن
تذكر الله تعالى عوضاً عن الصلاة (قال) وهاب: نعم سمعت
أن بعض العلماء كانوا يذكرون الله تعالى في أوقات
الصلاة عوضاً عن الصلاة، ففرحت لكلامه أيما فرح،
وأخذت انفخ في هذا الرأي حتى ظننت أنني استوليت على
لبي، وبعد ذلك وجدته لا يهتم بأمر الصلاة أحياناً يصلي
وأحياناً لا يصلي، خصوصاً في الصباح فإنه كان يترك
الصلاة غالباً، حيث كنت أسهر معه إلى بعد منتصف الليل
غالباً فكان منهوك القوى عند الصباح فلا يقوم للصلاة.

وهكذا أخذت أسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ
شيئاً فشيئاً وأردت ذات مرة أن أناقش حول (الرسول) لكنه
صمد في وجهي صموداً كبيراً، وقال لي: إن تكلمت بعد
ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك وخشيت أن ينهار
كل ما بنيته، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام حول
الرسول.

لكن أخذت في إذكاء روحه في أن يكون لنفسه
طريقاً ثالثاً غير السنة وغير الشيعة وكان يستجيب لهذا
الإيحاء كل استجابة لأنه كان يملأ غروره وتحرره.
وبفضل (صفية) التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع
أيضاً في (متعات جديدة) تمكنا في الأخذ بقيادة (الشيخ)
كاملاً.

وذات مرة قلت للشيخ: هل صحيح أن النبي آخى بين
أصحابه؟ قال: نعم (قلت): هل أحكام الإسلام وقتية أم
دائمة؟ (قال): بل دائمة لأن الرسول يقول (حلال محمد حلال
إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) (قلت)
إذن فلنواخ أنا وأنت، فتواخينا، ومنذ ذلك الحين كنت أتبعه
في كل سفر وحضر، وكنت أهتم لأن تأتي الشجرة التي
غرسها ثمارها التي صرفت لأجلها أثمان أوقات شبابي.
وكنت أكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرة،
كما كانت عادتي منذ أن خرجت من لندن - وكان
الجواب يأتيني بالتشجيع الكافي، فكنت أنا ومحمد نسير
في الطريق الذي رسمناه بخطى سريعة ولم أكن أفارقه لا
في السفر ولا في الحضر، وكانت مهمتي أن أربي فيه روح

الاستقلال والحرية وحالة التشكيك وكنت أبشره دائماً
بمستقبل زاهر وأمدح فيه روحه الوقادة: ونفسه النقادة
ولفقت له ذات مرة (حلماً) وقلت له: (إني رأيت البارحة في
المنام رسول الله - ووصفته بما كنت سمعته من خطباء
المنابر - جالساً على كرسي وحوله جماعة من العلماء لم
أعرف أحداً منهم وإذا بي أراك قد دخلت ووجهك يشرق نوراً
فلما وصلت إلى الرسول قام الرسول إجلالاً لك وقبل بين
عينيك وقال لك (يا محمد) أنت سميي ووارث علمي والقائم
مقامي في إدارة شؤون الدين والدنيا (فقلت أنت) يا رسول
الله إني أخاف أن أظهر علمي على الناس؟ قال رسول الله
لك: (لا تخف أنك أنت الأعلى).

فلما سمع محمد بالمنام كاد أن يطير فرحاً، وسألني
مكرراً هل أنت صادق في رؤياك؟ وكلما سأل أجبتة
بالإيجاب حتى اطمأن، وأظن أنه صمم من ذلك اليوم على
إظهار أمره.



- 5 -

في هذه الأيام جاءتني الأوامر من لندن على أن أتوجه إلى (كربلاء) و(النجف) مهوى قلوب المسلمين الشيعة ومركز علمهم وروحانيتهم ولهذين البلدين قصة طويلة. أما قصة (النجف) فإنها تبتدئ من يوم دفن فيها (علي) رابع الخلفاء عند أهل السنة وأول الخلفاء عند أهل الشيعة، فإن مدينة تبعد عن النجف قدر (فرسخ) - أي مسيرة ساعة بالرجل - تسمى بـ (الكوفة) كانت مقر خلافة علي، فلما قتل علي دفنه ولداه (الحسن والحسين) خارج الكوفة في هذا المكان الذي يسمى الآن (بالنجف) ثم أخذت نجف تزدهر بينما أخذت الكوفة في الخراب، واجتمع في النجف عدد من علماء الشيعة وصارت فيها بيوت وأسواق ومدارس وهي الآن مركز علماء الشيعة والخليفة في الأستانة يهيبهم ويحترم جانبهم لعدة أمور:

1- أن حكومة الشيعة في فارس تساندهم وإذا مس الخليفة كرامتهم توترت العلاقات بين الحكومتين وأحياناً تصل إلى حد الحرب.

2- إن عشائر كثيرة حول (النجف) تساند العلماء وهي مسلحة، وسلاحهم وإن كان ليس على المستوى الرفيع ولا تنظيم لهم إلا التنظيم العشائري، لكن يعني منازلة الخلافة للعلماء أن تدخل مع تلك العشائر في معارك دامية، وحيث لا ضرورة قصوى تلجئ الحكومة إلى كبح جماح العلماء فتذرهم وشأنهم.

3- إن أولئك العلماء مراجع لكل المسلمين الشيعة في العالم من (هند) و(أفريقيا) وغيرهما فإذا مست الحكومة كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان. (وأما قصة كربلاء) فإنها تبتدئ منذ قتل فيها سبط رسول الله (الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت الرسول) فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم من (المدينة - الحجاز) ليتخذوه خليفة، لكنه لما وصل هو وأهل بيته إلى أرض كربلاء - التي تبعد عن الكوفة قرابة اثني عشر فرسخاً -

قلب أهل العراق عليه الأمر، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية - الخليفة الأموي القاطن في الشام - فقاتل الحسين ابن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته، وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة كل نذالة وسفالة، ومنذ ذلك الحين اتخذ أهل الشيعة هذا المكان مركزاً روحياً يأتونه من كل مكان، ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا في الروحانية المسيحية له مثيل.

هذه المدينة - كربلاء - أيضاً مدينة شيعية وفيها علماء الشيعة ومدارسهم، وهي والنجف تسند إحداهما الأخرى. ولما وصلتني الأوامر للذهاب إلى هاتين المدينتين قطعت الطريق من البصرة إلى (بغداد) مركز الوالي المفصوب من قبل الخليفة في الآستانة ومن هناك ذهبت إلى (الحلة) وهي مدينة تقع على (شط الفرات).

و(الفرات ودجلة) نهران كبيران يخترقان العراق من تركيا ويصبان في البحر، ويعود الفضل في زراعة العراق ورفاها إلى هذين النهرين.

وقد اقترحت - أنا - على وزارة المستعمرات بعد عودتي إلى لندن أن تخطط لوضع اليد على مصب هذين النهرين لتمكن من إخضاع العراق في حالة الطوارئ، فإنه إن انقطع الماء عن العراق لا بد وأن نخضع أهلها لمطالب الوزارة. ومن (الحلة) ذهبت إلى (النجف) في زي تاجر من تجار (أذربايجان) واثقلت برجال الدين وأخذت أراودهم وحضرت مجالس دروسهم وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم، وغزارة علمهم، وشدة تقواهم لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمرهم.

1- فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا (لا لأنهم شيعة وأنها سنية) بل لضغط السلطة على حرياتهم ضغطاً كبيراً لا يفكرون في منازلتها وفي التخلص منها.

2- كما أنهم كانوا قد حصرُوا أنفسهم في علوم الدين أمثال قساوستنا في عصر الجمود، وقد تركوا علوم الدنيا إلا بمقدار قليل لا ينفع.

3- وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجري حولهم في العالم.

وقد قلت في نفسي: مساكين هؤلاء فإنهم في سبات
حيث الدنيا في يقظة، وسيأتي يوم يجرفهم السيل، وقد
حاولت مكرراً استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم أجد فيهم
أذناً صاغية، وكان بعضهم يسخر مني وكأنني أقول له
أهدم الكون، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها وارد
لا يمكن أن يقصر إلا إذا ظهر (ولي الأمر عجل الله فرجه).
وولي الأمر عندهم هو إمامهم الثاني عشر من ذرية
الرسول غاب عن الأبصار عام (255) هجري أي بعد ظهور
رسولهم بـ(255) سنة وهو حي إلى اليوم ثم يظهر للعالم
ليملأه عدلاً بعد أن ملئ جوراً.

واني أتعجب كيف يعتقد أناس أفاضل بهذه العقيدة
الخرافية إنها مثل عقيدة الخرافيين من المسيحيين بأنه
سيعود المسيح من عليائه ليملاً الدنيا عدلاً.

قلت لأحدهم: أليس الواجب أن تغيروا الظلم كما غير
رسول الله؟ (قال) الرسول كان يسنده الله ولذا تمكّن
(قلت) في القرآن الحكيم ﴿إِن تَتَصَرَّوْا اللّٰهَ يَنْصَرِكُمْ﴾
فأنتم أيضاً يسندكم الله إن قمتم بالسيف في وجه طغيان
الخليفة (قال) أنت تاجر وهذه مواضع علمية يقصر فهمك
عن ملاحظتها.

(أما مرقد) الإمام أمير المؤمنين - كما يسمونه - فهو مرقد جميل مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة، وله حرم جميل، وعليه قبة ذهبية كبيرة، ومنارتان ضخمتان ذهبيتان، وأهل الشيعة يدخلونه كل يوم زرافات زرافات ويقىمون فيه الصلوات بهيئة اجتماعية، ويقبلون ضريحه الذي أُلحد فيه وينحني كل واحد إلى عتبته يقبلها ثم يسلم على الإمام، ويستأذن في الدخول فيدخل، ويحيط بالحرم صحن كبير فيه غرف كثيرة هي مأوى رجال الدين والزوار.

وفي كربلاء حرمان على طراز حرم (علي) الأول: حرم (الحسين) والثاني حرم (العباس) وهو أخ للحسين قتل معه في كربلاء، وتفعل الشيعة في كربلاء مثل ما تفعل في النجف، وكربلاء أحسن مناخاً من النجف حيث يحيط بالبلد طوق كبير وكثيف من البساتين وفيها أنهار جارئة.

في سفرتي إلى (العراق) وجدت ما يثلج الصدر، فقد كانت الأوضاع العامة والخاصة تنذر بنهاية الحكم، فالوالي من قبل الأستانة رجل مستبد جاهل يحكم بما يشاء وكانّ الناس عبيد وإماء له، والشعب بصورة عامة غير راض

عنه ، أما أهل الشيعة فلأن الحكومة تضغط على حرياتهم ولا تعير لهم أهمية وأما أهل السنة فلأنهم يأنفون أن يحكمهم رجل تركي وفيهم الأشراف والسادة من آل الرسول الذين يرون أنهم أحق بالحكم من الوالي التركي. والبلاد خراب يعيش الناس فيها قذارة ووساخة وخرائب.

والطرق غير مأمونة فعصابات اللصوص يترصدون القوافل فينقضوا عليهم إذا لم تكن معهم مفرزة من الشرطة ، ولذا فإن القوافل لا تتحرك إلا بعد أن تصحبهم الحكومة بالشرطة المدججين بالسلاح.

والمخاصمات بين العشائر قائمة على قدم وساق ، فلا يمر يوم إلا وعشيرة تنقض على عشيرة أخرى ويكون بينهما القتل والسلب.

والجهل والأمية متفشية بصورة مدهشة تذكرني بأيام استيلاء الكنيسة على بلادنا ، فباستثناء طبقة رجال الدين في النجف وكربلاء وقلعة مرتبطة بهم لا تجد قارئاً ولا كاتباً واحداً في كل ألف إنسان.

والاقتصاد منهار فعيش الناس في فاقة شديدة وفقر
مدقع.

والنظام غير مستتب فالفوضى هي التي تسود كل
شيء.

وتنظر الحكومة والناس كل إلى الآخر بنظر الريبة
والشك ولذا لا تعاون بينهما.

ورجال الدين غارقون في الأمور الدينية عازفين عن
الحياة الدنيا.

والصحارى أغلبها يباب لا زراعة فيها، ويمر النهران
(دجلة والفرات) عبر أراضيهم وكأنهما ضيفان عليهم حتى
يصبأ في البحر.

وإلى غير ذلك من الأوضاع المتردية الفاسدة التي تنتظر
الإنقاذ.

بقيت في كربلاء والنجف مدة أربعة أشهر وقد مرضتُ
في النجف مرضاً حاداً حتى يئست من نفسي، ودام معي
المرض مدة ثلاثة أسابيع، وراجعت طبيباً كان هناك،
ووصف لي بعض الأدوية فلما شربتها أحسست بتحسن

صحتي ، وكان الفصل صيفاً شديداً الحر فكنت اعتكفت أيام مرضي في مكان تحت الأرض يسمى بـ(السرداب) وكان صاحب البيت الذي استأجرت منه غرفة يباشر في هذه المدة مهمة صنع الطعام والدواء لي لقاء أجر بسيط ، وكان يعتبر خدمتي أفضل قريبة إلى الله حيث أنه يخدم زائراً (لأمير المؤمنين عليه السلام) وكان أكلي فقط - في الأيام الأولى - ماء طير يسمونه (الدجاجة ثم منح لي الطبيب السماح بأكل لحمة أيضاً ، وفي الأسبوع الثالث أباح لي أن آكل (الأرز) بالدجاج ، وبعد أن أبلت من المرض ذهبت إلى بغداد وهناك كتبت تقريراً مفصلاً عن مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلة وبغداد والطريق في تقرير مسهب استوعب مائة صفحة ، وسلمت التقرير إلى ممثل الوزارة في بغداد ، وبقيت بانتظار أوامر الوزارة هل أبقى في العراق أو أعود إلى لندن.

وقد كنت شديد الشوق للعودة إلى لندن لأن الغربية طالت والحنين إلى البلد والأهل قد اشتد ، خصوصاً وقد كنت شائقاً كثيراً إلى لقاء ولدي (رسبوتين) الذي فتح العين إلى الفور في غيابي ولذا فإني قد طلبت من الوزارة مع

التقرير الذي بعثته إليها أن يسمحوا لي بالعودة ولو لأجل محدود ، لأروي لهم انطباعاتي شفويًا ولكي آخذ قسماً من الراحة والاستجمام فقد طال سفري إلى العراق مدة ثلاث سنوات.

قال لي ممثل الوزارة في بغداد أن لا أتردد عليه وأن استأجر غرفة في أحد الخانات المطلّة على نهر (دجلة) لكيلا تثار حولي شبهة وقال أنه (أي الممثل) سوف يخبرني بالجواب حينما يأتي البريد من لندن وكنت في أيام إقامتي في بغداد رأيت البون الشاسع بين عاصمة الخلافة وبغداد ، وكيف أن الأتراك يتعمدون إذلال أهالي العراق لأنهم عرب لا يؤمن مكرهم.

وقد كنت أيام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والنجف قلقاً أشد القلق على مصير (الشيخ محمد عبد الوهاب) حيث كنت لا آمن الانحراف على الطريقة التي رسمتها له ، فإنه كان شديد التلون ، عصبي المزاج ، فكنت أخشى أن تتهار كل آمالي التي بنيتها عليه.

إنه حين أردت أن أفارقه كان يروم الذهاب إلى الأستانة للتطلع عليها لكنني منعتة عن ذلك أشد المنع وقلت

له أخاف أن تقول هناك شيئاً ما يوجب أن يكفروك ومصيرك حينذاك القتل، قلت له هكذا، ولكن كان في نفسي شيء آخر وهو أن يلتقي ببعض العلماء هناك فيقوم معوجه ويرجعه إلى طريق أهل السنة فتنهار كل آمالي.

ولما كان الشيخ محمد لا يريد الإقامة في البصرة أشرت عليه بأن يذهب إلى (أصفهان وشيراز) فإن هاتين المدينتين جميلتان، وأهاليهما من أهل الشيعة ومن المستبعد أن تؤثر الشيعة في الشيخ، وقد كنت بذلك أمنت انحرافه.

وعند مفارقتي للشيخ قلت له: هل أنك تؤمن بالتقية؟ قال نعم، فقد اتقى أحد أصحاب الرسول (وأظنه قال إنه مقداد) حين اضطهده المشركون، فقتلوا أباه وأمه فأظهر الشرك، وأقره على ذلك رسول الله (ﷺ).

قلت له: إذن اتق من الشيعة ولا تظهر لهم أنك من أهل السنة لئلا تقع عليك كارثة، وتمتع ببلادهم وعلمائهم، وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم فإنه ينفعك أشد النفع في مستقبل حياتك.

وقد زودت الشيخ حين أردت مفارقتة بكمية من المال بعنوان (الزكاة) وهي ضريبة إسلامية تؤخذ لصرفها في

مصالح المسلمين، كما وقد اشتريت له (دابة) للركوب
بعنوان الهدية وفارقتة.

ومنذ مفارقتي له لم أعلم مصيره، وكنت قلقاً لذلك
أشد القلق وقد تبانينا أن نرجع كلانا إلى البصرة، وإذا
رجع أحدهنا ولم يجد صاحبه يدع مكتوباً عند (عبد الرضا)
يخبر فيه صديقه عن حاله.

- 6 -

بعد مدة من مكوثي في (بغداد) أتتني الأوامر بضرورة
التوجه إلى (لندن) فوراً، فتوجهت إليها، وهناك اجتمع بي
السكرتير وبعض أعضاء الوزارة وأخبرتهم بمشاهداتي وما
عملته في سفرتي الطويلة، ففرحوا بمعلوماتي عن (العراق)
أشد الفرح، وأبدوا ارتياحهم لها، وكان قد سبق إليهم
تقرير عن تفاصيل الرحلة، وظهر لي فيما بعد أن (صفية)
قرينة (الشيخ محمد عبد الوهاب) في البصرة أيضاً كانت
قد كتبت إليهم بما يطابق تقاريري، كما تبين أيضاً أن
الوزارة كانت تراقبني في كل السفر وأن المراقبين كتبوا

عني تقارير مرضية، ومصدقة لما كتبت في تقريرى ولما قلت
عند مقابلة السكرتير.

ضرب السكرتير لي موعداً للاجتماع بنفس الوزير ولما
زرته في مكتبه رحب بي ترحيباً حاراً يختلف عن ترحيبه
السابق عندما عدت من (الأستانة) إلى لندن وظهر لي أنني
أشغلت من قلبه مكاناً لائقاً.

وقد أبدى الوزير ارتياحه الكبير من السيطرة على
(محمد) وقال: إنه ضالة الوزارة، وأكد علي مكرراً بأن
أعاهده بكل أنواع المعاهدة، وقال: إنك لو لم تحصل في
كل أتعابك إلا على (الشيخ) كان جديراً بكل تلكم
الأتعاب. وحيث أبديت قلقي على مصيره بعدي قال الوزير:
اطمئن بأن (الشيخ) لا يزال على ما فارقته أنت من الآراء
والأفكار وقال الوزير: إن عملاء الوزارة اتصلوا به في
(أصفهان) وأنهم أخبروا الوزارة بأن الشيخ على ما كان،
لكن أسررت في نفسي: كيف أباح الشيخ بدخيلة سره
إليهم؟ وتهيبت أن أسأل الوزير عن ذلك، ثم تبين لي فيما بعد
حين التقيت (بالشيخ) أن إنساناً يدعى (عبد الكريم) اتصل
به في (أصفهان) وأنه أخ (للشيخ محمد: يقصد أنا) قال له

عن تفاصيل أسرارهِ عن الشيخ محمد ، وبذلك استطاع من النفوذ إلى دخائل قلبه ، وقال (محمد الوهاب) إن (صفية) لحقته في (أصفهان) وتنعم (بمتعة) أخرى لمدة شهرين ، وأن (عبد الكريم) صاحبه إلى (شيراز) حيث هيئ (لمحمد الوهاب) متعة أخرى اسمها (آسية) أجمل وأكثر أنوثة وعاطفة من (صفية) وأنه قضى معها أسعد ساعات العمر. وتبين لي فيما بعد - أيضاً :- أن (عبد الكريم) اسم مستعار لأحد المسيحيين في (جلفاء) من نواحي (أصفهان) كان من عملاء الوزارة ، وأن (آسية) من يهود (شيراز) وكانت أيضاً هي الأخرى من عملاء الوزارة ، وكان نتيجة سيطرتنا - نحن الأربعة - على (محمد الوهاب) أنه طبخ كأفضل ما يمكن لما يرجى منه في المستقبل.

بعد شرح الأحوال للوزير بحضور السكرتير ، ونفرين آخرين من أعضاء الوزارة لم أعرفهما من ذي قبل ، قال لي الوزير: لقد استحققت أعلى أوسمة الوزارة حيث بلغت الدرجة الأولى في سلمّ العملاء المخلصين ، ثم أردف: إن السكرتير سوف يطلعك على بعض أسرار الدولة وينفعك في مهمتك.

ثم منحوني إجازة عشرة أيام لكي أنصرف إلى أهلي،
وخرجت من الوزارة ميمماً نحو أهلي، وعشت مع ابني
الصغير الذي كان يشبهني، وينطق ببعض الكلمات
ويمشي وكأنه قطعة روعي تمشي على الأرض، في أسعد
اللحظات، وقد غمرني الفرح فوق حد الوصف، وكاد أن
يطير روعي حباً، وتمتعت بالأهل والوطن أيما استمتاع،
كما زرت عمتي العجوز الطاعنة في السن التي كانت دائماً
تغمرني بعطف ولطف، ومن حسن الحظ اجتماعي بها هنا،
حيث إنها فارقت الحياة عندما كنت أنا في السفارة الثالثة،
وقد تركت وفاتها في نفسي ألماً ولوعة وحسرة.

انقضت الأيام العشرة وكأنها ساعة - وهكذا تنقضي
الأيام السعيدة كالساعات بينما الأيام البائسة تنقضي
وكانها قرون - وتذكرت حينذاك الأيام التي كنت فيها
مريضاً في العراق والنجف، وكان اليوم الواحد منها يمر
عليّ وكأنه سنة، ولا تزال مرارة تلك الأيام تحت أسناني،
حتى أن مجموع أيام سعادتي لم يترك عندي من السعادة ما
تركته عندي أيام الشقاء من المرارة.

راجعت الوزارة لأتخذ الأوامر بشأن المستقبل، وكان في استقبالني السكرتير بطلعته الوسيمة، وثغره الباسم، وطوله الفارع، وصافحني مصافحة حارة لمست منها كل معاني الأخوة.

قال لي: لقد أمرني الوزير شخصياً، كما خولتني اللجنة الخاصة بشؤون المستعمرات أن أطلعك على سرين هامين جداً وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل، ولا يطلع على هذين السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم.

ثم أخذ بيدي وأدخلني إحدى غرف الوزارة، ورأيت فيها عجباً، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (أحدهم) في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والإنكليزية، (والثاني) في زي شيخ الإسلام في الأستانة (والثالث) في زي الملك الفارسي، (والرابع) في زي عالم البلاط الشيعي (والخامس) في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف، وهؤلاء الثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والإنكليزية. وعند كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما يقول. كما أنه هو بنفسه الطريق إلى احد الخمسة ليزوده بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من (الأستانة، وفارس، والنجف).

قال السكرتير: إن هؤلاء الخمسة يمثلون أولئك الأصليين صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر أولئك الخمسة، فإننا نزود هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الأستانة وطهران والنجف، وهؤلاء يجعلون من أنفسهم بمنزلة أولئك الخمسة الأصلاء، ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم، وقد لاحظنا أن نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير أولئك الأصليين.

قال السكرتير: وإن شئت جرب الأمر فإنك قابلت عالم النجف، قلت حسناً حيث كنت قد سئلت بعض المسائل عن مرجع التقليد في النجف. تقدمت إلى (البدل) وقلت له: مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة أن نحارب الحكومة لأنها حكومة سنية شديدة التعصب؟ تروى (البدل) قليلاً وقال: لا يجوز لنا محاربتهم لأنهم سنة، فإن المسلمين أخوة، وإنما يجوز لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الأمة، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا أيديهم عن اضطهادنا وحينذاك نتركهم وشأنهم (قلت) مولانا ما رأيكم في نجاسة اليهودي والنصراني فهل هم أنجاس أم لا؟ قال (البدل) نعم إنهم أنجاس يجب الاجتناب عنهم (قلت)

ولم؟ (قال) هذا من باب المقابلة بالمثل فإنهم يروننا كفاراً،
وأَنهم يكذبون نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم،
وكذلك نحن نقابلهم بالمثل (قلت له) مولانا أليست النظافة
من الإيمان فلماذا رأيت أنا قذارة الصحن الشريف،
والشوارع والأزقة حتى أني رأيت القذارة في المدارس العلمية
أيضاً (قال) النظافة لا شك أنها من الإيمان ولكن ماذا
نصنع بقلة المياه وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة.

كانت المفاجآت في أجوبة (البدل) أنها كلها كانت
مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة أو
نقص، لكن كانت إضافة جملة (وعدم اهتمام الحكومة
بالنظافة) في الجواب الثالث زيادة من (البدل) حيث لم
يذكرها الأصيل وقد دهشت أيما دهشة لهذه البدلية
المطابقة للأصل، فقد أجابني المرجع في النجف حيث سألته
عن هذه الأسئلة بنفس هذه الأجوبة، وكان (البدل) يتكلم
باللغة الفارسية كما كان المرجع في النجف يتكلم باللغة
الفارسية أيضاً.

قال لي السكرتير: ولو كنت واجهت الأربعة الأصلاء
الآخرين وتكلمت معهم لكان لك أن تتكلم مع هؤلاء

الأبدال لترى كيف أن هؤلاء الأبدال مثل أولئك الأصلاء
(قلت) أني أعرف كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي
(الشيخ أحمد أفندم) نقل لي جملة وافية عنه. قال لي
السكرتير: تفضل وتكلم مع (البدل) عنه.

فتقدمت إلى البدل وقلت له: أفندم هل تجب طاعة
الخليفة؟ (قال) نعم يا ولدي مثل وجوب طاعة الله ورسوله
(قلت له) أفندم بأي دليل؟ قال: ألم تسمع قول الله تعالى:
﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾؟ قلت:
أفندم إذا كان الخليفة أولي الأمر فكيف يأمرنا الله
بطاعة (يزيد) الذي أباح المدينة المنورة لجيشه وقتل الحسين
سبط رسول الله، وكيف يأمرنا الله بطاعة (الوليد) الذي
كان يشرب الخمر (قال البدل): يا ولدي إن (يزيد) كان
أمير المؤمنين من قبل الله تعالى وقد أخطأ في قتله الحسين
وتاب، وأما إباحته المدينة المنورة فقد كانت صحيحة لأنهم
طغوا وبغوا وخلعوا الطاعة، وأما الوليد فكان يشرب
الممزوجة بالماء والتي لا توجب له السكر وذلك جائز في
شريعة الإسلام.

لقد كنت سئلت هذه الأسئلة من (شيخى أحمد أفندم)
وكان جوابه نفس الأجوبة باختلاف يسير.

قلت للسكرتير بعد هذه المقابلة: وما فائدة هذه
التمثيلية قال إننا نعرف كيف تفكير سلاطين وعلماء
المسلمين سنة وشيعة ونضع الحلول المناسبة لمعاكستهم في
القضايا السياسية والدينية (مثلاً) إذا عرفت أن عدوك يأتي
من طرف المشرق كنت وضعت جنودك في ذلك الطرف
لصدّه، أما إذا لم تكن تعرف من أين يأتي العدو فقد تبعثر
جنودك في كل اتجاه.. وكذلك إذا عرفت وجه استدلال
المسلم على مذهبه ودينه تمكنت أن تضع الأجوبة الجاهزة
لردّه فتكون تلك الأجوبة كافية لخلخلة عقيدة المسلمين.

ثم ناولني السكرتير كتاباً ضخماً من ألف صفحة فيه
نتائج المناقشات والخطط التي جرت بين هؤلاء الخمسة
الأصليين والخمسة الأبدال في الشؤون العسكرية والمالية
والثقافية والدينية، وحملت الكتاب معي إلى البيت وقرأته
من أوله إلى آخره في ثلاثة أسابيع مدة إجازتي وأمرني بإرجاع
الكتاب بعد المطالعة، وعند قراءتي للكتاب دهشت لما
حواه من الرد ودقة المناقشات وكأنها واقعية فكانت

مطابقة الأجوبة - حسب معلوماتي - أكثر من سبعين بالمائة
وإن كان السكرتير سبق وأن قال لي: إن الأجوبة الصائبة
من التمثيلية زهاء سبعين بالمائة.

وقد ازددت وثوقاً بمقدرة حكومتي وعلمت يقيناً أن
الإمبراطورية العثمانية مشرفة على الزوال في أقل من قرن
حسب ما قدره الكتاب.

قال السكرتير لي وهناك غرف أخرى فيها نظير هذه
التمثيلية بالنسبة لسائر البلاد التي هي مستعمرة بأيدينا، أو
ما تقصد الحكومة استعمارها فيما بعد.

قلت للسكرتير: من أين تحصلون على هؤلاء الأبدال
بهذه الدقة والمقدرة؟ (قال) أن عملائنا في كافة البلاد
يزودونا بالمعلومات الكافية بصورة مستمرة وهؤلاء الأبدال
أخصائون في هذه الناحية، ومن الطبيعي أنك إذا حصلت
على معلومات كافية خاصة كما يعلمها (فلان) يكون نوع
تفكيرك واستنتاجاتك مثل تفكيره واستنتاجاته إذ تكون
حينذاك نسخة طبق الأصل منه.

قال السكرتير: وهذا هو السرّ الأول الذي أمرني
الوزير بإيقافك عليه.

وأما السر الثاني فسوف أطلعك عليه بعد شهر حيث
أتممت هذا الكتاب (ويقصد الكتاب ذا الألف صفحة
الذي تقدمت الإشارة إليه).

لقد طالعت الكتاب بدقة وإمعان من الجلد وإلى
الجلد، وظهرت لي آفاق جديدة من المعرفة بأوضاع
المحمديين كما ظهرت لي كيفية تفكيرهم، وكيف أنهم
متأخرون؟ وما هي نقاط الضعف فيهم؟ كما ظهرت لي
نقاط القوة في المسلمين وأنه كيف يلزم العمل لهدمها
وتبديلها بنقاط الضعف.

1 - فمن نقاط الضعف فيهم: الاختلاف بين السنة
والشيعة، والاختلاف بين الحكام والشعوب،
والاختلاف بين حكومتي (الأتراك والفرس)
والاختلاف بين العشائر، والاختلاف بين العلماء
والحكومة.

2 - ومن نقاط الضعف فيهم: الجهل والامية التي تكاد
تستوعب كل المسلمين إلا نادراً.

3 - ومن نقاط الضعف فيهم: خمول الروح وذبول المعرفة
وفقدان الوعي.

- 4 - ومن نقاط الضعف فيهم: ترك الدنيا كلية والتعلق بالآخرة والعمل لها وحدها.
- 5 - ومن نقاط الضعف فيهم: دكتاتورية الحكام والاستبداد الشامل.
- 6 - ومن نقاط الضعف فيهم: عدم أمن الطرق وانقطاع المواصلات إلا بقدر قليل.
- 7 - ومن نقاط الضعف فيهم: تدهور الصحة العامة حتى أن (الطاعون) (والوباء) يجتاحان البلاد بصورة مستمرة تقريباً يجرفان عشرات الألوف في كل وجبة.
- 8 - ومن نقاط الضعف فيهم: خراب البلاد وبياب الصحارى وانسداد الأنهر وقلة المزارع.
- 9 - ومن نقاط الضعف فيهم: الفوضى في كل شؤون الإدارة فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين، فإنهم وإن كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن إلا أن العمل بقوانينه يكاد يكون معدوماً.
- 10 - ومن نقاط الضعف فيهم تدهور الاقتصاد تدهوراً مشيناً فالفقر ضارب بأجزائه في كل مكان.

11 - ومن نقاط الضعف فيهم: عدم وجود جيوش نظامية بمعنى الكلمة وعدم وجود السلاح الكافي، ورداءة الموجود منه.

12 - ومن نقاط الضعف فيهم: احتقار المرأة وهضم حقها.

13 - ومن نقاط الضعف فيهم: الوساخة والقذارة في الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان.

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف إن قانون الإسلام بالعكس فاللزام إبقاء المسلمين في جهلهم حتى لا ينتبهوا إلى حقيقة دينهم، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام:

1 - يأمرهم بالاتحاد والألفة ونبذ الفوارق ففي القرآن
﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾.

2 - ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

3 - ويأمرهم بالوعي ففي القرآن ﴿فسيروا في الأرض﴾.

4 - ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾.

5 - ويأمرهم بالمشورة ففي القرآن ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

6 - ويأمرهم بتأمين السبل ففي القرآن ﴿فامشوا في مناكبها﴾.

7 - ويأمرهم بالعناية بأبدانهم وصحتهم ففي الحديث (إنما العلوم أربعة: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الأزمان).

8 - ويأمرهم بالعمران ففي القرآن ﴿وخلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾.

9 - ويأمرهم بالنظام ففي القرآن ﴿من كل شيء موزون﴾ وفي الحديث (ونظّموا أمركم).

10 - ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث (من لا معاش له لا معاد له).

11 - ويأمرهم بقوة الجيش وال سلاح ففي القرآن ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾.

12 - ويأمرهم باحترام المرأة ففي القرآن ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾.

- 13 - ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث (النظافة من الإيمان) أما نقاط القوة التي ذكرها الكتاب وأمر بهدمها فهي أنهم:
- 1 - لا يعيرون الاهتمام بالقوميات، والإقليميات، واللغات والألوان، وسوابق البلاد.
 - 2 - وتحرم عندهم الربا، والاحتكار، والبغاء، والخمر، والخنزير.
 - 3 - ويتعلقون بعلمائهم أشد التعلق.
 - 4 - ويحترم طائفة كبيرة من السنة (الخليفة) ويعتبرونه مثالا للرسول تجب طاعته كما تجب طاعة الله والرسول.
 - 5 - ويوجبون الجهاد.
 - 6 - ويرى أهل الشيعة نجاسة غير المسلم مهما كانت عقيدته.
 - 7 - ويعتقدون بأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.
 - 8 - ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد الإسلام.
 - 9 - ويرى أكثر المسلمين وجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

- 10 - ويمارسون العبادات (الصلاة - الصوم - الحج) ونحوها ممارسة شديدة.
- 11 - ويرى أهل الشيعة وجوب إعطاء الخمس، بدفعه إلى علمائهم.
- 12 - ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكاً شديداً.
- 13 - ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء والأجداد حتى ليستحيل الفصل للأبناء عن الآباء.
- 14 - والمرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن تسريب الفساد إليها.
- 15 - وعندهم صلاة الجماعة التي تجمعهم في كل يوم مرات.
- 16 - وعندهم المقابر للنبي وآله والصالحين فتكون مركز تجمعهم وانطلاقهم.
- 17 - وفي أوساطهم كثرة من المنتسبين إلى الرسول (أولاده) فتذكر بالرسول، ويجعل الرسول حياً في أعينهم.
- 18 - وعند أهل الشيعة (الحسينيات) التي تجمعهم في مواسم خاصة فيقوي الواعظ الإيمان في نفوسهم ويحرضهم على العمل الصالح.

- 19 - وعندهم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 20 - وعندهم استحباب الزواج وكثرة النسل وتعدد الأزواج.
- 21 - وعندهم أن من هدى إنساناً إلى الإسلام كان له خير من أن يملك كل الدنيا.
- 22 - وعندهم أن (من سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها).
- 23 - وعندهم تقييم كبير للقرآن والحديث واتباعهما يوجب الجنة والثواب. (ثم) أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاط القوة، وذكر الأدلة الكافية لكيفية ذلك.
- يقول الكتاب في ما يمكن أن يعمل من أجل توسيع نقاط الضعف:
- 1 - إن الاختلافات يمكن تركيزها بتكثير سوء الظن بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب التي تطعن في هذه الفئة. وتلك الفئة، واللازم بذل المال الكافي في سبيل التخريب والتفرقة.
- 2 - والجهل يمكن إبقاؤهم عليه بالمنع عن فتح المدارس ونشر الكتب، وإحراق ما يمكن إحراقه من

الكتب، وصرف الناس عن إدخال أولادهم في المدارس الدينية بتلفيق الاتهامات ضد رجال الدين.

3 - 4 - ويمكن إبقاؤهم في حالة اللاوعي بتزيين الجنة أمامهم وأنهم غير مكلفين بالحياة الدنيا، وتوسيع حلقات التصوف، وترويج الكتب الأمرة بالزهد مثل كتاب (إحياء العلوم) للغزالي، ومنظومات (المثنوي) وكتب (ابن العربي).

5 - ويمكن تقوية دكتاتورية الحكام ببيان (أنهم ظل الله في الأرض) وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وبنو أمية وبنو العباس كلهم جاؤوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف وحكموا فردياً (فأبو بكر) جاء إلى الحكم بسيف عمر، وإرهابه، وإحراقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة كبيت فاطمة بنت محمد (وعمر) جاء إلى الحكم بوصية أبي بكر، وعثمان جاء إلى الحكم بأمر عمر، وعلي جاء إلى الحكم بانتخاب الثوار له، ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف، ثم توارث بنو أمية الحكم. والسفاح جاء إلى الحكم بالسيف، ثم توارث بنو

العباس الحكم... كل ذلك دليل على أن الحكم
في الإسلام دكتاتوري.

6 - ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل بإلهاء الحكام
عن معاقبة اللصوص وتقوية جانب اللصوص
وإعطائهم السلاح وإغرائهم بالعمل المستمر في
طريق اللصوصية والخداع والغش.

7 - ويمكن الإبقاء على حالتهم اللاصحية بنشر مذهب
(القدر) فيهم وإن كل ذلك من الله، فلا فائدة في
العلاج، ألم يقل الله في القرآن ﴿الذي هو يطعمني
ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني﴾ وألم يقل
﴿والذي يميتني ثم يحييني﴾ فالشفاء بيد الله،
والموت بيد الله فلا سبيل للشفاء بدون إرادته ولا
مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره.

8 - والإبقاء على الخراب واليباب يمكن بما ذكرناه
في الحلقة الثالثة والرابعة.

9 - ويمكن الإبقاء على الفوضى ببيان أن الإسلام دين
العبادة ولا نظام فيه ولذا لم يكن لمحمد ولا
لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين.

10 - أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات ويمكن زيادته بإحراق المحاصيل، وإغراق البواخر التجارية وإحراق الأسواق وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع وعلى البلاد وإلقاء السم في المشارب العامة.

11 - ويمكن إلقاء الحكام في الفساد والخمر والقمار، وبتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش.

12 - ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة أليس في القرآن ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وأليس في السنة (المرأة شر كلها).

13 - أما الوساخة والقذارة فهي نتيجة طبيعية لشح الماء فاللازم الحيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان. (أما) ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة.

(فقد) أوصى الكتاب:

1 - بلزوم إحياء النعرات القومية، والإقليمية واللغوية واللونية وغير ذلك في المسلمين، كما أوصى بلزوم

جلب اهتمام المسلمين إلى سوابق حضارات بلادهم، وأبطال شخصياتهم قبل الإسلام. كإحياء الفرعونية في مصر، وإحياء التثوية في فارس، وإحياء البابلية في العراق (إلى آخر القائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن).

2 - كما يلزم إشاعة الأمور الأربعة التالية: الخمر والقمار والبغاء ولحم الخنزير إن جهراً وإن سراً. ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصابئة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل إحياء هذه الأمور وجعل (مرتب) من خزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هذه الأمور بين المسلمين، وجعل جوائز وإغراءات لكل من تمكن من أن يوسع دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر.. وأوصى الكتاب بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور علناً وسراً، وضرورة بذل ما يمكن في سبيل إنقاذ كل من يقع تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور الأربعة.. كما أوصى الكتاب بنشر (الربا) بكل

صوره، فإنه بالإضافة إلى أنه هدم للاقتصاد الوطني يجب على المسلمين خرق قوانين القرآن، ومن خرق قانوناً سهلاً عليه خرق سائر القوانين.. وقد أوصى الكتاب أنه من اللازم أن يبين للمسلمين أن الحرام (هو الربا المضاعف) حيث يقول القرآن: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفاً﴾ وليس الربا بكل صورته حراماً.

3 و4 - كما يجب تضييف صلة المسلمين بعلمائهم بالصاق التهم بالعلماء وإدخال بعض العملاء في زي العلماء، ثم يرتكبون الجرائم ليشتهبه كل رجل دين عندهم هل أنه عالم أو عميل. ومن المؤكد إدخال أمثال هؤلاء العلماء في الأزهر - والأستانة، والنجف، وكربلاء) ومن طرق تضييف صلة المسلمين بعلمائهم فتح المدارس لدراسة أطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة ليربوا الأطفال على كره العلماء وعلى كره الخليفة وذكر مساوئه وأنه منشغل بالملذات، وبصرف أموال الشعب في الفساد والترف، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشؤون.

5 - ويلزم التشكيك في أمر الجهاد ، وأنه كان أمراً وقتياً انقضى بانقضاء زمانه.

6 - ويلزم إخراج فكرة نجاسة (الكفار) عن نفوس أهل الشيعة ، وبيان أن الله قال في القرآن ﴿طعامكم حلُّ لهم وطعامهم حلُّ لكم﴾ وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي صفية وزوجة نصرانية وهي مارية ، ولا يمكن أن تكون زوجة الرسول نجسة.

7 - ويلزم أن يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام (الدين) سواء كانت يهودية أم نصرانية لا (المحمدية) بدليل أن القرآن يسمي كل أهل دين مسلماً ، ففي القرآن أن (يوسف) النبي قال ﴿توفني مسلماً﴾ وقال إبراهيم وإسماعيل ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ وقال (يعقوب) النبي لنيبه ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

8 - وكيف تحرم الكنائس والرسول وخلفاؤه لم يهدموها ، بل احترموها ، وفي القرآن: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبيعُ

وصلواتٌ للصوامع للنصارى، والبيع لليهود
والصلوات للمجوس، والإسلام يحترم محلات
العبادة: فلا يهدمها ويمنع عنها.

9 - ويجب التشكيك في حديث (أخرجوا اليهود من
جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة
العرب) فإنه لو كان الحديث صحيحاً، لم تكن
زوجة الرسول يهودية ونصرانية، وزوجة الصحابي
(طلحة) يهودية، ولم يفاوض الرسول نصارى
نجران.

10 - ويلزم صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك في
جدواها فإن الله غني عن طاعة الناس، ويلزم المنع
أسد المنع عن الحج، وعن كل اجتماع بين
المسلمين مثل (صلاة الجماعة) وحضور مجالس
الحسين، والمسيرات الحزينة له، كما يلزم المنع
أشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد، والكعبة
والحسينيات والمدارس.

11 - ويجب التشكيك في الخمس وأنه خاص بالغنائم
المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاسب،
ثم الواجب إعطاء الخمس للنبي أو الإمام لا إلى

العالم، بالإضافة إلى أن العلماء يشتركون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين، فلا يجوز شرعاً دفع الخمس إليهم.

12 - واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك في العقيدة واتهام الإسلام بأنه دين التخلف والفوضى، ولذا تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الاضطراب والسرقة.

13 - والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج الأبناء من تحت تربية الآباء وعند ذلك تكون التربية بأيدينا نحن وإذا خرجوا عن تربية الآباء لا بد وأن ينفصلوا عن العقيدة وعن التوجيه الديني، وعن الصلة بالعلماء.

14 - ويلزم إغراء (المرأة) بإخراجها عن العبادة بحجة أن الحجاب عادة خلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول وكانت المرأة تشترك في كل الشؤون وبعد إخراج المرأة من العبادة لا بد من إغراء الشباب بهنّ ليقع الفساد بينهما واللازم أن تخرج

النساء غير المسلمات من العباءة أولاً حتى تقتدي
بهنَّ المرأة المسلمة.

15 - ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الإمام
وإظهار مساوئه وبإثارة البغضاء بين الإمام وبين
الذين يصلون معه بكل الوسائل والسبل.

16 - أما المقابر فاللزام هدمها بحجة أنها لم تكن في
عصر النبي وإنها بدعة كما أن اللازم صرف
الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه
المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين، فالنبي
دفن عند قبر أمه، وأبو بكر وعمر دفنا في البقيع
وعثمان مجهول قبره، وعلي دفن في البصرة، أما
في النجف فهو قبر المغيرة بن شعبة والحسين دفن
رأسه في (حنَّانه) وجسده مجهول القبر، وفي
الكاظمية قبر الخليفتين لا قبر الكاظم والجواد
من آل الرسول، وفي طوس قبر هارون لا قبر الرضا
من أهل البيت، وفي سامراء قبور بني العباس لا
قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت،
والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم

كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم.

17 - أما آل الرسول، فاللزام الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول واللازم تليس غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسئوا الظن بآل الرسول، ويشكوا في نسبهم، كما أن اللازم نزع العمائم عن رؤوس رجال الدين والسادة ليضيع نسب آل الرسول ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحترام عن الناس.

18 - والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وأنها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة بدفعها الخطيب وصاحب الحسينية.

19 - واللازم إشراب الحرية إلى نفوس المسلمين فكل إنسان ما يريد من الأعمال فلا يجب الأمر بالمعروف، ولا النهي عن المنكر، ولا تعليم الأحكام ويلزم الإلقاء إليهم بأن (عيسى على دينه

وموسى على دينه) (وأن أحداً لا ينام في قبر أحد)
وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس.

20 - ويجب تحديد النسل وأن لا يتزوج الرجل أكثر من
زوجة واحدة ووضع القيود على الزواج مثل أنه لا
يحق للعربي أن يتزوج فارسية، وبالعكس، ولا
لتركي أن يتزوج عربية وبالعكس.

21 - ويجب أن يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهداية
إليه وإشاعة أن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن
﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾.

22 - والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل أمرها
بيد الدولة حتى أنه لا يحق لأحد أن يبني مسجداً
أو مدرسة أو ميماً أو غير ذلك من السنن الحسنة
والصدقات الجارية.

23 - كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر نسخ
من القرآن مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن
القرآن زيد فيه ونقص منه، ويلزم إسقاط الآيات
التي تسب اليهود والنصارى والكفار، وإسقاط
آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى
اللغات المحلية كالتركية والفارسية والهندية

والامتناع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد
العرب، كما يجب منع الأذان والصلاة والدعاء
باللغة العربية في غير بلاد العرب وكذلك من
الضروري التشكيك في الأحاديث المروية وأن
يُعمل بها كما يعمل بالقرآن من التحريف
والترجمة والطعن.

لقد كان رائماً جداً ما وجدته في هذا الكتاب واسمه
(كيف نحطّم الإسلام) وكان أفضل برنامج لعملي في
المستقبل، وقد قال لي السكرتير (حين أرجعت الكتاب
إليه وأبدت إعجابي الشديد به): اعلم أنك لست في الميدان
وحدك بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك والذين
جنّدتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة أكثر من خمسة آلاف
شخص، وتفكر الوزارة في أن تزيد عددهم إلى مئة ألف
ويوم وصلنا إلى تجنيد هذا العدد، فإنه هو اليوم الذي
نستولي فيه على المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام
وبلاده نسفاً كاملاً (ثم أردف السكرتير) قائلًا: وإني
أبشرك أن أقصى مدة تحتاجها الوزارة لتكميل هذه الخطة
هي قرن من الزمان ولو لم نصل نحن إلى ذلك الزمان فإن
أبناءنا سوف يرون ذلك بأم أعينهم وما أروع المثل القائل

(غيري زرع فأكلت وأنا ازرع حتى يأكل غيري) وإذا تمكنت (سيدة البحار) من نسف الإسلام والاستيلاء على بلاده فقد أَرْضَى العالم المسيحي من أتعاب اثني عشر قرناً كان المسلمون يطاردون ويهاجمون المسيحيين (وقال السكرتير): أن الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى كما أن (المغول) لم ينفعوا في قلع جذور الإسلام لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط وكانوا يعملون أعمالاً عسكرية ظاهرة العدوان ولذا فإنهم انحسروا بسرعة (أما الآن) فقد اتجه تفكير القادة من حكومتنا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله تحت خطة مدروسة دقيقة وبصبر طويل ونهائي. صحيح أننا نحتاج إلى الحسم العسكري أخيراً لكن الحسم العسكري سيأتي في المرحلة الأخيرة حيث نكون أنهكنا بلاد الإسلام وضرينا الإسلام بالمعاول في كل جوانبه حتى صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحرب بالمثل (ثم أردف السكرتير أيضاً) أن عظماء الأستانة كانوا على أكبر قدر من الفطنة والذكاء حيث عملوا بنفس الخطة التي قررناها نحن فقد تغلغلوا في أوساط المحمديين ففتحوا المدارس لتربية أولادهم وأسسوا الكنائس في أوساطهم ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة وشككوا

شبابهم في دينهم وأثاروا بين حكوماتهم النزاعات وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتن وملؤوا بيوت كبارهم بالحسناوات المسيحيات حتى ضعفت شوكتهم وقل تمسكهم بدينهم ووهت وحدتهم وألفتهم وإذا بالعظماء يشنون عليهم حروباً عسكرية خاطفة فينقلع الإسلام عن جذوره في تلك البلاد.

- 7 -

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد أن ذقت طعم السر الأول ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد، حتى يكون الإسلام خيراً بعد حقيقة، والوثيقة كانت موجهة إلى الرؤساء العامين العاملين في حقل الوزارة، لأجل هذا الشأن، وهي كانت مركبة من أربع عشرة بنداً، وقد حذرت الوثيقة من إفشائها وأمرت بكتمانها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو:

1 - التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وتاجكستان، وأرمينيا، وخراسان وما والاها، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحايدة لروسيا.

2 - التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج.

3 - إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية وإذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانبين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها، وإثارة النزاعات بينها.

4 - إعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فأولاً) يثرب لليهود (وثانياً) الإسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزد للزرادشت البارسين (ورابعاً) عمارة للصائبة (وخامساً) كرمانشاه للذين يتبعون علي بن أبي طالب (وسادساً) الموصل

لليزيدية (وسابغاً) خليج فارس للهندوس بعد أن
يستوردوا كميات كبيرة من الهند (وثامناً)
طرابلس للدروز (وتاسعاً) قارض للعلويين
(وعاشراً) مسقط للخوارج. (ثم) اللازم تقوية هؤلاء
بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه
الفئات أشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها
حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

5 - التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية
والبارسية إلى أكبر عدد ممكن من الحكومات
المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في
الهند ، انطلاقاً من قاعدة (فرّق تسد) (وفرّق
تحطم).

6 - زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام
واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يلائم كل دين
من تلك الأديان مع هوى جميع من أهل البلاد
(مثلاً) اللازم زرع أربعة أديان في بلاد الشيعة ، دين
يؤله الحسين بن علي ، ودين يعبد جعفر الصادق ،
ودين يعبد المهدي الموعود ، ودين يعبد علي الرضا ،
والمكان المناسب للأول (كربلاء) والثاني

(أصفهان) وللثالث (سامراء) وللرابع (خراسان) كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السننية أدياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط، وأن ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

7 - نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم أن يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية.

8 - الاهتمام لزراعة الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتَمرون بأوامرها وينهون عن زواجها، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضل، وعليه فمن الضروري إدخال أفراد في الإسلام صورة ثم إيصالهم إلى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطة.

9- منع اللغة العربية حسب الإمكان، وتوسيع اللغات غير العربية مثل (السنسكريتية) و(البارسية) و(الكردية) و(البشتو) وإحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة.

10 – زرع العملاء حول الحكام وإيصالهم إلى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والجواري ذوو الكفاءات العالية فاللازم تربية أولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة إلى المقربين من الحكام، كأولاد الحكام، وزوجاتهم، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجياً، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم.

11 – توسيع نطاق التبشير بإدخال المبشرين في كل صنف خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين

ومن إليهم وزرع الكنائس والمدارس، والمصحات ودور الكتب، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في أوساط المسلمين مجاناً وبلا ثمن والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريخ الإسلامي، وزرع الجواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشؤونهم (كما) أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من أجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم بعد الاطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم.

12 - تمييع شباب المسلمين إنثاءً وذكروراً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد أخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يُهيئون لهذا الشأن، فمن الضروري تكوين جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرهما من أجل أن يكونوا مصائد لصيد المسلمين بكل الطرق.

13 - إشعال الحروب والثورات الداخلية ، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين المسلمين أنفسهم على طول الزمان لتستنفد قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم ، وتوحيد الصف ، ولتستنزف طاقاتهم الفكرية ومواردهم المالية وتقني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنتشر الفوضى والإرباك والشعب فيهم.

14 - تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأنهر والسعي لتفشي البطالة فيهم بتنفيرهم عن العمل ، وفتح محلات اللهو وتكثير مستعملي (الأفيون) وسائر المواد المخدرة.

وقد كانت هذه البنود مشروحة شرحاً وافياً ، ومزودة بالخرائط والصور والأشكال.

شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتت أوامر الوزارة بالتوجه إلى العراق مرة أخرى ، لتكميل الشوط مع (محمد الوهاب) وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقدار ذرة حيث قال (إنه حصل من مختلف التقارير الواردة إليه من

العملاء أن الشيخ أفضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطية لمآرب الوزارة).

ثم قال السكرتير: تكلم مع الشيخ بصراحة وقال إن عميلنا في أصفهان تكلم معه بصراحة وقبل الشيخ العرض على شرط أن نحفظه من الحكومات والعلماء الذين لا بد وأن يهاجموه بكافة السبل حينما يُبدي آراءه وأفكاره وأن يزوّده بالمال الكافي والسلاح إذا اقتضى الأمر ذلك، وأن نجعل له إمارة ولو صغيرة في أطراف بلاده (نجد) وقد قبلت الوزارة كل ذلك.

لقد كدت أخرج من جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ، قلت للسكرتير: إذن فما هو العمل الآن؟ وبماذا أُكلف الشيخ، ومن أين أبدأ (قال) السكرتير لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينفذها الشيخ وهي:

1 - تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبيعهم في أسواق النخاسة، وجعلهم عبيداً ونساءهم جوارى.

2 - هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

3 - السعي لخلع طاعة الخليفة، والإغراء لمحاربتة وتجهيز الجيوش لذلك، ومن اللازم أيضاً محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

4 - هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر.

5 - نشر الفوضى والإرهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك.

6 - نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة.

قال السكرتير لي بعدما بين البرنامج المذكور: لا يهولتكم هذا البرنامج الضخم فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة، وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة، وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفس الطويل، والسير خطوة خطوة، وهل (محمد) النبي إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل؟ فليكن (محمد عبد

الوهاب) مثل نبيّه (محمد) ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود.

بعد أيام استأذنت الوزير والسكرتير، وودعت الأهل والأصدقاء، وحين أردت الخروج قال ولدي الصغير: بابا ارجع بسرعة فأنهمرت عيناى، ولم أتمكن إخفاء ذلك عن زوجتى، وقبلتها وقبلتني قبلات حارة، وخرجت قاصداً نحو البصرة، وبعد سفرة مضية وصلت إليها ليلاً وذهبت إلى دار (عبد الرضا) وكان نائماً، ولما رأني رحب بي واستقبلني استقبالاً حاراً ونمت هناك حتى الصباح وقال لي: إن الشيخ محمد رجع إلى البصرة ثم سافر وأودع عنده كتاباً موجهاً إليك، وفي الصباح قرأت الكتاب وإذا به يخبرني فيه أنه سافر إلى نجد، وقد ذكر عنوان محله في (نجد) فسافرت في الصباح ميمماً وجهة نجد ووصلتها بعد مشقة بالغة وجدت الشيخ محمد في داره، وقد ظهرت عليه آثار الضعف فلم أبح له بشيء ثم تبين لي فيما بعد أنه تزوج وأنه ينهك قواه مع زوجته، فنصحته بالإقلاع فسمع كلامي، وقد صار القرار أن أجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق وأن العبد الآن جاء من السفر، وهكذا كان، فشهر عند أصدقائه أني عبده اشتراه من البصرة وأنه كان في سفر أمره بذلك

السفر وأنه جاء الآن؛ وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده سنتين وهياًنا الترتيب اللازم لإظهار الدعوة. وفي سنة (1143) هجرية قويت عزيمته وقد جمع أنصاراً لا بأس بهم فأظهر الدعوة بكلمات مبهمة وألفاظ مجملة لأخص خواصه، ثم جعل يوسع رقعة الدعوة، وولفت أنا حوله عصابة شديدة المراس زودناهم بالمال وكنت أشدّ عزيمتهم كلما أصابهم خور من أجل مهاجمة أعدائه له، وكلما أظهر الدعوة أكثر صار أعداؤه أكثر، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط بعض الإشاعات ضده، لكنني كنت أشد من عزيمته، وأقول له: إن (محمد النبي) رأى أكثر من ذلك وأن هذا هو طريق المجد وأن كل مصلح لا بد وأن يتلقى العنت والإرهاق.

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكر والفر وقد وضعت على أعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال، فكلما أرادوا إثارة فتنة أخبرنا الجواسيس بقصدهم فنتمكن من قلب الخطة، وذات مرة أخبرت أن بعض أعدائه أرادوا اغتياله فوضعت الترتيبات اللازمة لإفشال الخطة، ولما ظهر قصد أعدائه بإرادتهم اغتيال الشيخ انقلبت الخطة عليهم وأخذ الناس ينفرون منهم.

لقد وعدني (الشيخ) بتنفيذ كل الخطة السداسية إلا أنه قال: إنه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها وهكذا كان، وقد استبعد الشيخ أن يقدر على (هدم الكعبة) عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد وكان أشد خوفه من السلطة في (مكة) وفي (الأستانة) وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لا بد وأن تجهز إلينا جيوش لا قبل لنا بها، وقبلت منه العذر لأن الأجواء لم تكن مهيأة كما قال الشيخ.

بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبنا فأرسلوا إلي رسولا يبين لي ذلك ويظهر وجوب التعاون بين (المحمدين) فمن محمد الوهاب الدين. ومن محمد السعود السلطة، ليستولوا على قلوب الناس وأجسادهم فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواما وأشد نفوذا وأرهب جانبا.

وهكذا كان وبذلك قوى جانبنا قوة كبيرة وقد اتخذنا (الدرعية) عاصمة للحكم (والدين الجديد) وكانت الوزارة تزود الحكومة الجديدة سرا بالمال الكافي كما اشترت الحكومة الجديدة في الظاهر عدة من العبيد كانوا

من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية فكنت أنا وإياهم (وعدددهم أحد عشر) نتعاون بوضع الخطط اللازمة، وكان (المحمدان) يسيران على ما نضع لهما من الخطط، وكثيراً ما نتناقش الأمر مناقشة موضوعية إذا لم يكن أمر خاص من الوزارة. وقد تزوجنا جميعاً من بنات العشائر، وقد أعجبنا بإخلاص المرأة المسلمة لزوجها وبذلك اشتبكت أواصر الصلة بيننا وبين العشائر أكثر فأكثر والأمر الآن يسير من حسن إلى أحسن، والمركزية تتقوى يوماً بعد يوم وإذا لم تقع كارثة مفاجئة فقد بُذرت البذرة الصالحة لأن تنمو وتتمو حتى تؤتي الثمار المطلوبة.

تمت الترجمة

في 173/1/2

الفهرس

الوهابية صناعة وزارة المستعمرات البريطانية	
تقديم أ. مالك صقور.....	5
مذكرات مستر همفر	
الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية.....	25

**إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة**

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	٢
2006	.	.		1
2006	.	.		2
2006	.	.		3
2007	.	.		4
2007	5
2007	.	.		6
2007	.	.	-	7
2007	.	.	. / - - - - .-	8
2007			! ()): (9
2007		.		10
2007		.		11
2007		.		12
2007	.	.		13

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2007	.	.		14
2008		.		15
2008		.		16
2008		.		17
2008		.	1944	18
2008		.		19
2008		.	-	20
2008		.		21
2008		.	-	22
2008		.		23
2008		.		24
2008		.		25
2009		.	-	26
2009	.	.	-	27
2009	.	.	-	28
2009	.	.	-	29

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2009		.	-	30
2009		.	-	31
2009		.	-	32
2009	.	.	-1971	33
2009	.	.	- -	34
2010		.		35
2010		.	-()	36
2010		.	()	37
2010		.	- -	38
2010		.	-	39
2010				40
2010		.	-	41
2010		.	. -	42
2010		.	-	43
2010	-	-	.	44

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2011	.	.		45
2011	.	.) (46
2011	.	.	004 -	47
2011	.	.		48
2011	.	.		49
2011	.	.	: -	50
2011	.	.		51
2011	.	.		52
2011	.	.		53
2011	.	.		54
2012	.	.	-	55
2012	.	.	-	56
2012	.	.	: -	57
2012	.	.) (1968 -	58
2012	.	.	1	59

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	٢
2012			2	60
2012			-	61
2012			-	62
2012				63
2012	.	.	-	64
2012				65
2012				66
2012				67
2013	.		()	68
2013	.			69
2013		..		70
2013		..		71
2013				72
2013	.	.		73
2013		..		74
2013		.		75
2013		..		76
2013		..		77
2013		.		78

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2013		.		79
2014		..		80
2014		..		81
2014		..		82
2014	..			83
2014	..			84
2014	..			85
2014	..			86
2014	..			87
2014		..		88
2014	..			89
2014		..		90
2014		..		91
2015		..		92